



يحبهم ويحبونه - ج

لماذا أحب ربي؟

الشيخ/ندا أبو أحمد



لماذا أحب ربي؟

مَهَيِّدٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فُلَامُضِلٌ لَهُ، وَمَنْ يَضِللْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى -، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

لماذا أحب ربي؟

١- أحب ربي... لأنه ربي:

- أحب ربي... لأنه الملك، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، ليس لأحد معه من الأمر شيء.
- أحب ربي... وكيف لا أحبه وقد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمة وحكمة.

- أحب ربي... وكيف لا أحبه وهو الذي وسع سمعه جميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، لا تختلف عليه، ولا تشبهه عليه، ولا يشغله سمع عن سمع.

- أحب ربي... وكيف لا أحبه وهو سبحانه له الدنيا والآخرة، وله النعمة والفضل، وله الثناء الحسن.
- أحب ربي... وكيف لا أحبه وقد أحاط بصره بجميع المرئيات.

- أحب ربي... لأنه له في كل شيء آية تدل على أنه الإله الواحد المستحق للمحبة والعبادة.

٢- أحب ربي... لأنه يتفضل علينا بنعمه التي لا تحصى ولا تعد:

٣- أحب ربي لأنه ستر، يحب الستر، فيستر علينا عيوبنا وذنوبنا فلا يفضحنا بين خلقه:

٤- أحب ربي... لأنه غفور، يغفر الذنوب جميعاً مهما عظمت:

الله تعالى يدعو عباده إلى الاستغفار.

ومن رحمة الله بنا أن جعل مغفرة الذنوب أسهل تناولاً وأسرع قبولاً.

تحذير لمن يقنط الناس من رحمة الله.

٥- أحب ربي... لأنه تواب:

الفارق بين "الغفار" و"التواب".

ومن رحمة الله بنا أن جعل باب التوبة مفتوحاً فلا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، أو عند بلوغ الروح الحلقوم.

بل وصل من جوده وكرمه ورحمته بالعبد التائب أنه يبذل سيئاته حسنات، فسبحانك من إله كريم عظيم رحيم.

ومن كرم الله ورحمته: فإنه يدعو المشركين وجميع المذنبين إلى التوبة.

بل من كرم الله ورحمته أنه لو تاب الكافر أو المشرك ودخل في دين الإسلام وحسن إسلامه، فإنه يحفظ عليه حسناته التي عملها قبل إسلامه.

٦- أحب ربي... لأنه رحيم:

الله عز وجل أرحم بنا من أمهاتنا.

وما أعظم الرحمة وأشرفها وأجملها حيث يكتب الله تعالى كتابها بيده سبحانه.

صور من رحمة الله تعالى بعباده في الدنيا.

صور من رحمة الله تعالى بعباده يوم القيامة.

٧- أحب ربي... لأنه ودود:

٨- أحب ربي... لأنه سبحانه لطيف بنا:

٩- أحب ربي... لأنه سبحانه يعاملنا بفضله، ولم يعاملنا بعدله:

١٠- أحب ربي... لأنه كريم:

ومن كرمه سبحانه وتعالى عليك أنه يرفع القلم عنك حتى تبلغ.

فاذا بلغت وجرى عليك القلم وبدأ التعامل بالحسنات والسيئات فإنه سبحانه يمنّ عليك بكرمه ويجعل لك الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بمثلها ويغفر.

ومن كرمه سبحانه وتعالى أنه شرع لنا أعمالاً هي قليلة في الجهد، لكنها عظيمة الأجر.

بل بلغ من كرم الله وعظيم فضله أن العبد إذا مرض أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً.

بل بلغ من كرم الله وعظيم فضله أن العبد إذا عجز عن الأمر وهو صادق النية في فعله، فإن الله تعالى يعطيه أجر ما أراد.

ومن كرمه سبحانه وتعالى: أن جعل لنا مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات، ويرفع فيها الدرجات، ويغفر فيها كثير من الذوب والمعاصي والزلات.

وبلغ من كرمه سبحانه وتعالى أنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

بل بلغ من كرمه سبحانه وتعالى أنه يعطيك حسنات بلا مقابل.

وجعل الله الشهادة في سبيله أعلى منازل في الجنة، ثم لم يقصرها على من مات في أرض المعركة، فجعلها لخلق من خلقه، ومنهم: (ذكرت في ثنانيا الرسالة).

ومن صور كرمه سبحانه وتعالى عند الموت وما بعده.

ومن كرمه أن هناك بعض الأمور تنفع الميت بعد موته؟.

ومن صور كرمه سبحانه وتعالى يوم القيامة.

أخي الحبيب هل أنت صادق في دعوى المحبة؟.

قوافل المحبين

من أقوال المحبين:

لماذا أحب ربي؟

١- أحب ربي... لأنه ربي:

فإنه عز وجل أهلٌ لأن يُحب لذاته، فله سبحانه جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وله نعوت الجلال، وصفات الكمال، وهو سبحانه خالق كل شيء، ورازق كل حي، أحاط بكل شيء علماً، وكل شيء عنده لأجلٍ مسمى، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويضر وينفع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما يمانع، يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل، يعلم الأسرار، ويقبل الأعدار، وكل شيء عنده بمقدار، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، يعطي عبده قبل أن يسأله، ويشكر على القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويسأله من في السموات والأرض، كل يوم هو في شأن، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تختلط عليه كثرة المسائل، ويحب الملحين في الدعاء، ويغضب إذا لم يُسأل، تتوجه له الوجوه طوعاً، وتسجد له القلوب حباً.

قال ابن القيم -رحمه الله-: " وَكَيْفَ لَا تُحِبُّ الْقُلُوبُ مَنْ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ إِلَّا هُوَ؟! وَهُوَ سَبْحَانَهُ يُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيُقِيلُ الْعَثَرَاتِ، وَيَغْفِرُ الْخَطِيئَاتِ، وَيَسْتُرُ الْعَوْرَاتِ، وَيَكْشِفُ الْكُرْبَاتِ، وَيَغِيثُ اللَّهْفَاتِ، فَهُوَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ شُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَحَقُّ مَنْ حُمِدَ، وَأَنْصَرُ مِنَ ابْتِغَايَ، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجُودُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أُعْطِيَ، وَأَرْحَمُ مَنْ اسْتَرْجَمَ، وَأَكْرَمُ مَنْ قُصِدَ، وَأَعَزُّ مَنْ التَّجَّى إِلَيْهِ، وَأَكْفَى مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، أَرْحَمُ بَعْدَهُ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلِدِهَا، وَأَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ التَّائِبِ مِنَ الْفَاقِدِ لِزِاحِلَتِهِ الَّتِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فِي الْأَرْضِ الْمُهْلِكَةِ إِذَا بَيَّسَ مِنَ الْحَيَاةِ ثُمَّ وَجَدَهَا. وَهُوَ الْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْقَرْدُ فَلَا نِدَّ لَهُ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَنْ يُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَنْ يُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِهِ، يُطَاعُ فَيَشْكُرُ، وَيَتَوَفَّقُهُ وَنِعْمَتِهِ أُطِيعَ، وَيُعْصَى فَيَغْفِرُ وَيَعْفُو، وَهُوَ أَقْرَبُ شَهِيدٍ، وَأَجَلُّ حَفِيزٍ، وَأَوْفَى بِالْعَهْدِ، وَأَعْدَلُ قَائِمٍ بِالْقِسْطِ، حَالَ دُونَ النُّفُوسِ، وَأَخَذَ بِالنَّوَاصِي وَكَتَبَ الْآثَارَ، وَنَسَخَ الْأَجَالَ، فَالْقُلُوبُ لَهُ مُفْضِيَةٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ، وَالْغَيْبُ لَدَيْهِ مَكْشُوفٌ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِلَيْهِ مَلْهُوفٌ، وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِنُورِ وَجْهِهِ، وَعَجَزَتِ الْقُلُوبُ عَنِ إِدْرَاكِ كُنْهِهِ^(١)، وَدَلَّتِ الْفِطْرُ وَالْأَدِلَّةُ كُلُّهَا عَلَى امْتِنَاعِ مِثْلِهِ وَشَبْهِهِ، أَشْرَقَتْ لِنُورِ وَجْهِهِ الظُّلُمَاتُ، وَاسْتَنَارَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، وَلَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ^(٢) مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ^(٣) ". اهـ بتصرف

(انظر الداء والدواء لابن القيم ص: ٣٣٦)

١- أي: إدراك كيفية صفاته.

٢- سبحات وجهه: بهاءه وعظمته وجلاله ونوره.

٣- كما جاء في حديث مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: "إن الله لا ينام".

- هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس دونه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء تبارك وتعالى، ما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده. علا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه فلا توارى منه سماءً سماءً ولا أرضاً أرضاً، ولا يحجب عنه ظاهرٌ باطنًا، بل الباطن له ظاهر

والقريب منه بعيد. قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ (الحديد: ٣، ٤)

- هو الملك لا شريك له، والفرد لا ند له، والغني فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له، ولا صاحبة له، والعلي فلا شبيه له ولا سمي له. كل شيء هالك إلا وجهه، وكل ملك زائل إلا ملكه، وكل ظل قاص إلا ظله، وكل فضل منقطع إلا فضله.

- لو أن أهل سماواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ولو أن خلقه أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئاً.

- لو أن أشجار الأرض كلها من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا أقلام، والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد، فكتب بتلك الأقلام، وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفد المداد ولم تنفذ كلمات الملك الوهاب.

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٦) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْسًا وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ (سورة لقمان: ٢٦-٢٨)

يقول ابن القيم -رحمه الله- في نونته:

لو أن أشجار البلاد جميعها	الأقلام تكتبها بكل بنان
والبحر تلقى فيه سبعة أبحر	لكتابة الكلمات كل زمان
نفدت ولم تنفذ بها كلماته	ليس الكلام من الإله بفان

- تمت كلماته صدقا وعدلاً، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبيها ومثلاً، وتعالته ذاته أن تشبه شيئاً من الذوات أصلاً، ووسعت الخليفة أفعاله عدلاً، وحكمة، ورحمة، وإحساناً وفضلاً. صفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال.

- كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْرَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَالِيَهُ مُنْقَلَبُهُ.

أحب ربي... لأنه الملك، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، ليس لأحد معه من الأمر شيء:

قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿ (فاطر: ٣، ٢)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "ذكر الله تعالى انفراده بالتدبير والعطاء والمنع فقال: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ ﴾ من رحمته عنهم ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فهذا يوجب التعلق بالله تعالى، والافتقار إليه من جميع الوجوه، وأن لا يدعى إلا هو، ولا يخاف ويرجى، إلا هو. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي قهر الأشياء كلها ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها. ويأمر الله تعالى جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم، وهذا شامل لذكرها بالقلب اعترافاً، وباللسان ثناءً، وبالجوارح انقياداً، فإن ذكر نعمه تعالى داع لشكره، ثم نبههم على أصول النعم، وهي الخلق والرزق، فقال: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ولما كان من المعلوم أنه ليس أحد يخلق ويرزق إلا الله، نتج من ذلك، أن كان ذلك دليلاً على ألوهيته وعبوديته، ولهذا قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي: تصرفون عن عبادة الخالق الرزاق لعبادة المخلوق المرزوق ". اهـ

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (يونس: ١٠٧)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "هذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفقر ومرض، ونحوها ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ لأن الخلق، لو اجتمعوا على أن ينفعوا بشيء، لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضرروا أحداً، لم يقدروا على شيء من ضرره، إذا لم يردده الله، ولهذا قال: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ﴾ أي: لا يقدر أحد من الخلق، أن يرد فضله وإحسانه، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ، فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: يختص برحمته من شاء من خلقه، والله ذو الفضل العظيم، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لجميع الزلات، الذي يوفق عبده لأسباب مغفرته، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارها، وصغارها. ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات، بحيث لا تستغني عن إحسانه، طرفة عين، فإذا عرف العبد بالدليل القاطع، أن الله هو المنفرد بالنعم، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف السيئات والكربات، وأن أحداً من الخلق، ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل". اهـ

أحب ربي... وكيف لا أحبه وقد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمة وحكمة:

لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا في قرار البحار، ولا تحت أطباق الجبال.
قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "هذه الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه. وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال والحصى، والتراب، وما في البحار من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها. ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفار، والدنيا والآخرة، إلا يعلمها. ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ﴾ من حبوب الثمار والزررع، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق؛ وبذور النوبات البرية التي ينشئ منها أصناف النباتات. ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ هذا عموم بعد خصوص ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ، قد حواها، واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور، يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها. وأن الخلق من أولهم إلى آخرهم لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد، المحيط. وجل من إله، لا يحصي أحدٌ ثناء عليه، بل كما أتى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث". اهـ

وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (سبأ: ٣)

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ﴾ (النحل: ١٩)

وقال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الملك: ١٣).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه: ٧).

يعلم السر وأخفى من السر، فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بعد فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا.

يقول ابن القيم - رحمه الله - في نونيته:

وهو العليم أحاط علما بالذي
وبكل شيء علمه سبحانه
وكذاك يعلم ما يكون غداً وما
وكذاك أمر لم يكن لو
في الكون من سر ومن إعلان
فهو المحيط وليس ذا نسيان
قد كان والموجود في ذا الآن
كان كيف يكون ذا إمكان

أحب ربي... وكيف لا أحبه وهو الذي وسع سمعه جميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، لا تختلف ولا تشبه عليه، ولا يشغله سمع عن سمع:

وهو القائل سبحانه: **يا عِبَادِي! لو أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ...".**

(أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ؓ)

فالكل يسأله في آن واحد، فلا تختلط عليه الأصوات، مع اختلاف اللغات واللهجات. وهذا ما نراه لكن بصورة مصغرة وتقريبية في يوم عرفة، على جبل عرفات، فالكل يسأل الله في نفس الوقت وهو سبحانه يسمعهم جميعاً مع اختلاف اللهجات والحاجات.

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ؓ قال: **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ".**

- وفي رواية عند البخاري بلفظ: **"لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ - أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ...".**

وأخرج ابن ماجه والحاكم وأبو يعلى من حديث عائشة - رضي الله عنهما - قالت: **تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتُ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبُرْتُ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ، فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهِؤْلَاءِ الْآيَاتِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي**

تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾". (صحيح ابن ماجه: ١٦٩١)

- وفي رواية عند النسائي من حديث عائشة-رضي الله عنهما- قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله ﷺ تكلمه في جانب البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (سورة المجادلة: ١) والله در ابن القيم حيث قال في نونيته:

وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني

وقفة مع قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢)

فهو سبحانه يسمعك وأنت تذكره فيذكرك، وهذا شرف لك أيما شرف. وليس العجب من فقير يلجأ إلى غني، ولا من ضعيف يلجأ إلى قوي، وليس العجب من قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ إنما العجب من قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ فمن نحن حتى يذكرنا الله سبحانه إن ذكرناه؟

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني. فإن ذكرني في نفسيه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم".

وهذا الفضل لا يصفه لفظ، ولا يعبر عن شكره إلا سجود القلب.

يقول يحيى بن معاذ-رحمه الله:- "يا غفول يا جهول! لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك مولاك لمت شوقاً إلى مولاك". (حلية الأولياء لأبي نعيم: ٥٦/١٠) فذكر الله سبب لذكره لك في الملأ الأعلى، وكفى بهذا شرفاً.

أحب ربي... وكيف لا أحبه وهو سبحانه له الدنيا والآخرة، وله النعمة والفضل، وله الشاء

الحسن، وله الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره، هو الذي بدأ الدنيا ولم تكن شيئاً، وهو الذي يعيدها كما بدأها، يطوي السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون".

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤)

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: ٦٧)

أحب ربي... وكيف لا أحبه وقد أحاط بصره بجميع المرئيات:

فيرى ديبب النملة السوداء في الليلة الظلماء، يرى مخ عظمها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى جناح البعوضة في ظلمة الليل.

يا من يرى مد البعوض جناحه
ويرى نياط عروقها في نحرها
في ظلمة الليل البهيم الأليل
والمخ في تلك العظام النحيل

سبحانه وتعالى:

هو البصير يرى ديبب النملة
ويرى مجاري القوت في أعضائها
ويرى خيانات العيون بلحظها
السوداء تحت الصخر والصوان
ويرى بياض عروقها بعيان
ويرى كذاك تقلب الأجنان

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩)

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق: ١٤) تنبيه على أن العبد إذا علم أن ربه يراه استحي من ارتكاب الذنب.

وقد سئل الجُنَيْدُ -رَحِمَهُ اللهُ- بِمِ يُسْتَعَانُ عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ؟ قَالَ: "بِعِلْمِكَ أَنَّ نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْكَ أَسْبَقُ مِنْ نَظْرِكَ إِلَى مَا تَنْظُرُهُ". (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص: ١٦٢).

يا مدمن الذنب أما تستحي
غرك من ربك إمهاله
والله في الخلوّة ثانيكا
وستره طول مساويكا

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي: عظمي، فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت."

وقد قيل لحاتم الأصم -رحمه الله-: بما حققت التوكل على الله؟ قال: بأربع خصال: "علمت بأن رزقي لا يأخذه غيري فاطمئن قلبي، وعلمت بأن عملي لا يتقنه غيري فاشتغلت به، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية، وعلمت أن الموت ينتظرنني فأعدت الزاد للقاء الله تعالى".

(رواه البيهقي في "الشعب" وأبو نعيم في "الحلية")

ولما غاب هذا الأصل الأصل تجرأ بعض المسلمين على رب العالمين، فإذا غابوا عن أعين الناس وخلوا بأنفسهم تجرؤا على محارم الله فانتهكوها، فضاع منهم أعز ما يملكون، ضاعت الحسنات في وقت هم أحوج فيه إلى حسنة.

فقد أخرج ابن ماجه من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هِبَاءً مَنْثُورًا"، قَالَ ثُوبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: "أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا^(١) خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا". (صحيح ابن ماجه: ٣٤٤٢)

وفي نونية القحطاني:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِّبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

يقول ابن عباس-رضي الله عنهما-: "خَوْفُكَ مِنَ الرَّيْحِ إِذَا حَرَكْتَ سِتْرَ بَابِكَ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ، وَلَا يَضْطَرُّ فَوَادِكَ مَنْ نَظَرَ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمَلْتَهُ...".

ولقي رجل أعرابية فأرادها على نفسها فأبت، وقالت: ويلك، أما لك زاجر من عقل، إذا لم يكن لك ناه من دين؟ فقلت لها: إنّه والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: وأين مكوكبها؟

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرُ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَفِيبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ يَغْفَلُ سَاعَةً وَلَا أَنْ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ

قال محمد بن علي الترمذي-رحمه الله-: "اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شركك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه". (إحياء علوم الدين)

وقال حاتم الأصم-رحمه الله-: "تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت، فاذا نظر الله إليك، وإذا تكلمت، فاذا سمع الله منك، وإذا سكت، فاذا علم الله فيك". (سير أعلام النبلاء)

١- فالتعبير بـ "إذا" يدل على الكثرة والاستمرار، وأن هذا هو شأنهم ودينتهم مع محارم الله فجعلوا الله أهون الناظرين إليهم. ولفظ "إذا" يدل على الكثرة كما في صفة المنافق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتى من خان. وهذا كحال المنافقين الذين قال الله عز وجل عنهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (النساء: ١٠٨)

أحب ربي... لأنه له في كل شيء آية تدل على أنه الإله الواحد المستحق للمحبة والعبادة:

السماء بغير عمد ترونها من رفعها؟ الكواكب من زينها؟
 الجبال من نصبها؟ الأرض من سطحها وقال امشوا في مناكبها؟
 الطبيب من أرواه وقد كان يرجى بإذن ربه شفاه؟ والمريض وقد يئس منه من عافاه؟
 البصير في الحفرة من أهواه؟ الأعمى في الزحام من يقود خطاه؟
 الجنين في ظلمات ثلاث من يرعاه؟ الثعبان من أحياه والسم يملأ فاه؟
 الشهد من حلاه؟ اللبن من بين فرث ودم من صفاه؟
 النبت في الصحراء من أرياه؟ النخل من شق نواه؟
 الجبل من أرساه؟ الصخر من فجر منه المياه؟ النهر من أجراه؟ البحر من طغاه؟
 النوم من جعله وفاة واليقظة منه بعث وحياة؟ العقل من منحه وأعطاه؟
 النحل من هداه؟ الطير في جو السماء من أمسكه ورعاه وفي أوكاره من غذاه ونماه؟
 الظالم من يمهله؟ الجبار من يقصمه؟ المظلوم من ينصره؟
 المضطر من يجيبه؟ الملهوف من يغيثه؟ الضال من يهديه؟ الحيران من يرشده؟
 العاري من يكسوه؟ الجائع من يشبعه؟ الكسير من يجبره؟ الفقير من يغنيه؟
 أنت أنت من خلقك؟ من صورك؟ من شق سمعك وبصرك؟ من سواك فعدلك؟
 من رزقك؟ من أطعمك؟ من آواك ونصرتك؟ إنه الله ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة: ٧)

ولله در القائل (١):

أقلّها هو ما إليه هداك	الله في الآفاق آياتٌ لعل
عجبٌ عجابٌ لو ترى عيناك	ولعلّ ما في النفس من آياته
حاولتَ تفسيراً لها أعياك	والكونُ مشحونٌ بأسرارٍ إذا
من يا طبيبُ بطبّه أزداك؟	قل للطبيب تخطفته يدُ الردى
عجزت فنون الطب من عافاك؟	قل للمريض نجا وعوفي بعدما
مَن بالمنايا يا صحيحُ دهاك؟	قل للصحيح يموتُ لا من علّة
فهوى بها من ذا الذي أهواك؟	قل للبصير وكان يحذرُ حفرةً
بلا اصطدامٍ من يقودُ خطاك؟	بل سائلِ الأعمى خطاً بين الزحام
راعٍ ومرعى ما الذي يرعاك؟	قل للجنين يعيشُ معزولاً بلا

١- هو الشاعر إبراهيم على بنديوي-رحمه الله-

لى الولاءة ما الذى أبكاك؟
 فاسأله من ذا بالسموم حشاك؟
 أو تحى وهذا السم يملأ فاك؟
 شهذاً وقل للشهد من حلاك؟
 بين دم وفرث ما الذى صفاك؟
 حنايا ميّت فاسأله من أحياك؟
 عن عيون الناس من أخفاك؟
 ورعاية من بالجفاف رماك؟
 يريو وحده فاسأله من أزياك؟
 أنواره فاسأله من أسراك؟
 أبعد كل شيء ما الذى أدناك؟
 بالمر من دون الثمار غذاك؟
 فاسأله من يا نخل شق نواك؟
 فاسأل لهيب النار من أوراك؟
 قمم السحاب فسأله من أرساك؟
 فسأله من بالماء شق صفاك؟
 جرى فسأله من الذى أجراك؟
 طعى فسأله من الذى أطغاك؟
 فاسأله من يا ليل حاك دجاك؟
 فاسأله من يا صبح صاغ ضحاك؟
 عجب عجاب لو ترى عيناك
 حمداً وليس لواحد إلاك
 لا تدري له ولكنّه إدراك
 فى كل شيء أستبين غلاك
 ما خاب يوماً من دعى ورجاك
 بالله جلّ جلاله أغراك؟

قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء
 وإذا ترى الثعبان ينفث سمّه
 واسأله كيف تعيش يا ثعبان
 واسأل بطون النحل كيف تقاطرت
 بل سائل اللبن المصفى كان
 وإذا رأيت الحي يخرج من
 قل للهواء تحته الأيدي ويخفى
 قل للنبات يجف بعد تعهد
 وإذا رأيت النبت في الصحراء
 وإذا رأيت البدر يسري ناشراً
 واسأل شعاع الشمس يدنو وهي
 قل للمرير من الثمار من الذى
 وإذا رأيت النخل مشقوق النوى
 وإذا رأيت النار شب لهيها
 وإذا ترى الجبل الأشم مناطحاً
 وإذا ترى صخرًا تقجر بالمياه
 وإذا رأيت النهر بالعذب الزلال
 وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج
 وإذا رأيت الليل يغشى داجياً
 وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحياً
 ستجيب ما فى الكون من آياته
 ربي لك الحمد العظيم لذاتك
 يا مدرك الأبصار والأبصار
 إن لم تكن عيني تراك فإنني
 يا منبت الأزهار عطرة الشذى
 يا أيها الإنسان مهلاً ما الذى

٢- أحب ربي... لأنه يتفضل علينا بنعمه التي لا تحصى ولا تعد:

فكم هي نِعَمَ الله عليك تتقَلَّبُ فيها بالليل والنهار، فَنِعَمَ اللهُ عليك عَظِيمَةً، وأفضاله جسيمة، قد توالَتْ عليك نِعَمُهُ حتى لو أفنيتَ عُمُرَكَ في إحصائها لنفد العمر قبل أن تحصيها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (النحل: ١٨)، فكيف لا يُحِبُّ العبدُ بكلِّ قلبه وجوارحه مَنْ يُحسِنُ إليه على الدوام بَعَدَ الأنفاس. فإن العبد أسير الإحسان، فالإنعام والبر واللطف، معاني تسترق مشاعره، وتستولى على أحاسيسه، وتدفعه إلى محبة من يسدي إليه النعمة، ويهدي إليه المعروف، ولا يمنع على الحقيقة ولا محسن إلا الله عز وجل.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي والحاكم من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "أحبُّوا اللهَ لِمَا يَغْدُوكُم بِهِ مِنْ نِعْمِهِ، وَأَحِبُّوا لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي". فمشاهدة برِّه وإحسانه وآلائه ونِعَمِهِ الباطنة والظاهرة، داعيةٌ إلى محبته. وكيف لا تحبه وكل ما ترفل فيه من النعم والخيرات هدية منه إليك بلا مقابل؟ وكيف لا يذوب قلبك محبة له، وهو الذي لا زال يوالي عليك نعمه وإحسانه، حتى قبل أن تولد، وكل ذلك بلا مقابل؟

فقل لي بربك: هل دعوت الله تعالى وأنت في بطن أمك أن تخرج مسلماً؟ تخيل أنك الآن قد ولدت على غير ملة الإسلام، تُرى ماذا سيكون مصيرك وأنت تعيش في ظلمات الشرك والكفر ليل نهار؟ لكن لكون حبه لك سبق حبك له، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: ٥٤) فأنعم عليك بنعمة الإسلام، وحمالك من السجود لصنم، وأخضعك لمن خلقك من عدم. فكفى بنعمة الإسلام نعمة تغمر قلبك بحب ربك.

ومن نعم الله علينا: أن وكَّل سبحانه علينا حفظه، كما قال تعالى: ﴿لَهُ مَعْبَآتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١٠) نِعَمٌ مجلوبة ونِعَمٌ مدفوعة ونحن لا نعلم شيئاً ولا نحس بها، والله يكلوننا بالليل والنهار.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (الأنبياء: ٤٢). فهو سبحانه المنعم بالكلاءة والحفظ والحراسة فهو يحفظ عباده من كل مكروه لا حافظ غيره. قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤)

يقول ابن القيم-رحمه الله-: "ليس العجب من مملوك يتذل لله، ويتعبد له، ولا يمل من خدمته، مع حاجته وفقره إليه، إنما العجب من مالك يتحجب إلى مملوك بصنوف إنعامه ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه."

يقول ابن الجوزي-رحمه الله-: "قلوب المحبين مملوءة بذكر الحبيب، إن نطقوا فبذكره، وإن تحركوا فبأمره، وإن فرحوا فلقربه، وإن ترحوا فلعتبه.

والله ما طلعت شمس ولا غربت
ولا جلستُ إلى قوم أحدثهم
إلا وحبك مقرون بأنفاسي
إلا وأنت حديثي بين جُلَاسِي

فهل استشعر قلبك حبَّ الله؟! ونِعَمَ الله تعالى الواصلة إليك لا تتقطع آناء الليل وأطراف النهار، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، فواعجباً ممن لم ير محسناً غيره على الدوام كيف لا يميل بكليته إليه. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩)

يغفر ذنباً، ويفرج همّاً، ويكشف كرباً، ويجبر كسيراً، ويُغني فقيراً، ويُعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويُرشد حيراناً، ويُغيث لهفاناً، ويفك عانياً، ويُشبع جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلى، ويقبل ثائبا، ويجزي محسناً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمّن روعة.

أبعدَ هذا كله لا تحبُّه وتشتاق إليه وأنت تسمع داعيه ثم تتأخّر عن الإجابة؟! وأنت تعرف قدر الريح في معاملته ثم تعامل غيره! وأنت تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له! وأنت تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأُنس بطاعته! وأعجب من هذا علمك أنك لا بُدَّ لك منه وأنت أحوج شيء إليه، وأنت عنه مُعرض وفيما يُبْعِدُكَ عنه راغب.

ويقول ذو النون في مناجاته لربه: "ابتدأتني برحمتك من قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، وخلقتني من تراب ثم أسكنتني الأصلاب ونقلتني إلى الأرحام، ثم نشررتني إلى الدنيا سوياً، وحفظتني في المهد طفلاً صغيراً صبيّاً، ورزقتني من الغذاء لبناً مريّاً، وكفلتني حجور الأمهات، وأسكنت قلوبهم رقة لي وشفقة عليّ، وربيتني بأحسن تربية، ودبرتني بأحسن تدبير وكلائتني من طوارق الجن، وسلمتني من شياطين الإنس، وصننتني من زيادة في بدني تشينني، ومن نقص فيه يعيبني، فتباركت ربي وتعاليت يا رحيم، فلما استهللت بالكلام أتممت عليّ سوابغ الإنعام، حتى إذا ملكتني شأني، وشددت أركانني وأكملت ليّ عقلي، ورفعت حجاب الغفلة عن قلبي، وألهمتني النظر في عجب صنائعك، وبدائع عجائبك، وأوضحت لي حجتك ودللتني على نفسك، وعرفتني ما جاءت به رسلك، إلهي فأني نعم أحصي عدداً؟ وأي عطائك أقوم بشكره؟ أما أسبغت عليّ من النعماء أو صرفت عني من الضراء، إلهي أشهد لك بما شهد لك باطني وظاهري وأركانني، إلهي إني لا أطيق إحصاء نعمك، فكيف أطيق شكرك عليها؟ وقد قلتَ وقولك الحق: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ (إبراهيم: ٣٤) أم كيف يستغرق شكري نعمك، وشكرك من أعظم النعم

عندي وأنت المنعم به عليّ ". (موارد الظمان في محبة الرحمن للعفاني)

إذا كان شكري نعمة الله نعمة عليّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلته وإن طالَّت الأيام واتصل العمر

قال محمد بن علي الترمذي -رحمه الله-: " اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تتقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه ". (الطلية: ١٠/٢٣٥)

٣- أحب ربي... لأنه ستر، يحب الستر، فيستر علينا عيوبنا وذنوبنا فلا يفضحنا بين خلقه:

مر بنا أن نعم الله علينا كثيرة لا تُعد ولا تُحصى. كما قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ فضلا عن قيامكم بشكرها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ أي: هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرب على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفَّار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١٨)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ عددًا مجردًا عن الشكر ﴿لَا تَحْصُوهَا﴾ فضلا عن كونكم تشكرونها، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، من جميع أصناف النعم مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصى، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير.

ومن أعظم نعم الله علينا: نعمة الستر، والتي بدونها لا نهنأ بعيش، ولا يطيب لنا مقام، ولا نستقيم على حال، وهي نعمة تناساها كثير الناس، ولم يعرفوا قدرها، ولم يستشعروا أثرها، فأبي نعمة أعظم من ستر الله للعبد في الدنيا وعند الممات، وفي الآخرة على رؤوس الأشهاد يوم الحساب، فلا يطلع الناس منه على القبائح أو الزلات، ولا تتكشف منه العورات.

ومما يدل على أن الستر نعمة؛ ما أخرجَه البيهقي في "شعب الإيمان" عن عطاء قال: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠). قَالَ: هَذِهِ مِنْ كُنُوزِ عِلْمِي، سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَمَّا الظَّاهِرَةُ فَمَا سَوَى مِنْ خَلْقِكَ، وَأَمَّا البَاطِنَةُ فَمَا سَتَرَ مِنْ عَوْرَتِكَ، - وفي رواية: فَمَا سَتَرَ مِنْ مَسَاوِي عَمَلِكَ -، وَلَوْ أَبْدَاهَا لَفَلَاكَ أَهْلُكَ فَمَنْ سِوَاهُمْ".

وقال الضحاك-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، قال: أما الظاهرة: فالإسلام والقرآن، وأما الباطنة: فما يستر من العيوب ". (الدر المنثور: ٦/ ٥٢٦).

وحتى تعرف قدر هذه النعمة؛ فلك أن تتخيل أخي الحبيب لو أن الله هتك أستارنا وكشف عيوبنا! فكم من بيوت ستهدم، وكم من أسرة ستمزق، وكم من أرحام ستقطع، وكم من زوجة ستطلق، وكم من رجل سيفضح، وكم من صديق و خليل سيتترك، وكم من دماء ستسفك... وكم.. وكم..

ولك أن تتخيل... لو كانت للذنوب رائحة! ما استطاع أحد أن يجالس أحدًا.

ولو كتبت ذنوبنا على جباهنا أو على جدران بيوتنا فاطلع الناس عليها، ما استطاع أحد أن يهنأ بعيش، أو يرفع رأسًا. وكان هذا واقعًا في بني إسرائيل؛ فكان أحدهم إذا أذنب ذنبًا يُكْتَبُ ذنبه على باب داره، وتكتب معه كفارته. إنها فضيحة وعار على رؤوس الأشهاد.

وقد ورد في تفسير ابن المنذر - رحمه الله -: أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا مجتمعين عند ابن مسعود رضي الله عنه، فتذكروا بني إسرائيل وما أعطاهم الله من فضائل، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كان الرجل من بني إسرائيل إذا أذنب ذنبًا كُتِبَ ذنبه على باب داره، وكُتِبَ معه كفارة ذلك؛ ليغفر ذلك الذنب، أما أنتم فجعل الله مغفرة ذنوبكم قولًا تقولونه بألسنتكم، ثم تلا قول الحق سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا

فَعَلُوا فَاِحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَمْ يَصِرْهُ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥)

أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ (آل عمران: ١٣٥، ١٣٦)

فقال ابن مسعود رضي الله عنه: والله ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية.

فمن فضل الله علينا أن ستر عيوبنا وذنوبنا فلم يبدها، ولو كشفها لافتضحنا، وهذه نعمة عظيمة، ومنة جسيمة.

قال بعض السلف: أصبح بنا من نعم الله ما لا نُحْصِيه، مع كثرة ما نَعْصِيه، فما ندري أيها نشكر؟ أعلى جميل ما ظهر؟ أم على قبيح ما ستر؟.

وقال رجل لأحد السلف: كيف أصبحت؟ قال: "أصبحت بين نعمتين، لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله عز وجل، فلا يستطيع أن يعيرني بها أحد؛ ومودة قذفها الله عز وجل في قلب العباد، لم يبلغها عملي".

وقال ابن الجوزي - رحمه الله -: "اعلم أن الناس إذا أعجبوا بك، فإنما أعجبوا بجميل ستر الله عليك".

لأن الله عز وجل لو نشر ما ستر لانكشفت السوءات، وظهرت العورات، وما استطاع أحد منا أن ينظر إلى وجه أحد، ولعمت العداوة والبغضاء بين الخلق أجمعين.

لكنه سبحانه وتعالى من رحمته بنا كسانا ثوب السُّرِّ، وحجب عيون الناس عن رؤية معاصينا، وجملنا ظاهرنا، وستر قبيح أفعالنا، ولولا ذلك، ما طاق أحد أن يعاشر أحدًا. وكما قيل:

وفي الناس شرٌّ لو بدا ما تعاشروا ولكن كساه الله ثوب غطاءٍ وستر

فالعاصي إذا انكشف أمره ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وتبرأ منه الأقربون، وتجنبه الناس أجمعون، ولكنه سبحانه ستر عليه فلم يفضحه؛ بل يريد أن يتوب عليه ليتوب، فإن تاب وأناب عفا عنه فغفر سيئاته وتجاوز عن هفواته. ولولا فضله ورحمته لصار كثير من مفضوحين بين الناس تتبعهم الهزات والطعنات، وتلاحقهم اللعنات، وتشير إليهم أصابع الاتهام. لكنه سبحانه وتعالى ستر؛ يحب الستر.

الله عز وجل حيي ستر يحب الحياء والستر:

والستر صفة فعلية لله عز وجل، فهو يستر على عباده في الدنيا والآخرة.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "... إن الله عز وجل حليم حيي ستر^(١)، يحب الحياء والستر."

(صحيح الجامع: ١٧٥٦) (صحيح النسائي: ٤٠٤)

- وفي رواية: "إن الله حيي ستر، يحب الحياء والتستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر."

والستر: صيغة مبالغة على وزن فعيل، أي أنه شديد الستر على خلقه، أي: يحب الستر لعباده المؤمنين، فيأمرهم أن يستر عوراتهم، وأن لا يجاهروا بمعاصيهم في الدنيا، وهو يسترها عليهم في الآخرة.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله يذني^(٢) المؤمن، فيضع عليه كنفه^(٣) ويستتره، فيقول: أتعرف ذنب كذا: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم. أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسنة."

- وفي رواية: "إن الله يذني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستتره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال الله له: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسنة". (متفق عليه)

فهذا يدل على أن الله يستر عبده المؤمن المستتر بالمعصية في الدنيا، ثم يتم عليه ستره يوم القيامة.

١- قال ابن الأثير- رحمه الله- في "النهاية": ستر: فعيل بمعنى فاعل: أي من شأنه وإرادته حب الستر والصون". واعلم أخي الحبيب أن "الستر" ليس من أسمائه تعالى، ولم يرد ما يدل على ذلك، خلاف ما هو شائع عند عوام الناس.

٢- يذني: أي يقرب المؤمن يوم القيامة منه دنو كرامة وإحسان لا دنو مسافة، فإنه سبحانه منزّه عن المسافة.

٣- كنفه: أي ستره رحمته.

وقد ذكر ابن قدامة-رحمه الله- في كتابه التَّوَابِين: أن موسى-عليه السلام- خرج يوماً يستسقي، فلم ير في السماء قزعة^(١) واشتدَّ الحرُّ، فقال موسى: يا رب، اللهم إنا نسألك الغيث فاسقنا، فقال الله جل وعلا: يا موسى، إن فيكم عبداً يُبارزني بالذنوب أربعين عاماً، فصِحَّ في القوم ونادى إلى العباد: الذي بارز ربه بالذنوب والمعاصي أربعين عاماً أن اخرج، فقال موسى: يا رب! القوم كثير، والصوت ضعيف، فكيف يبلغهم النداء؟! فقال الله: يا موسى، قل أنت، وعلينا البلاغ، فنادى موسى بما استطاع، وبلغ الصوت جميع السامعين الحاضرين، فما كان من ذلك العبد العاصي الذي علم أنه المقصود بالخطاب، المرقوم في الكتاب أنه يُنادى بعينه بين الخلائق، فلو خرج من بين الجموع، عرف وهتك ستره، وانفضحت سريرته وكشفت خبيئته، فما كان منه إلا أن أطرق برأسه، وأدخل رأسه في جيب درعه أو قميصه، وقال: يا رب، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، فما لبث موسى ومن معه إلا أن أظلم الغيم، وانفتحت السماء بمطر كأفواه القرب، فقال موسى: يا رب، سقيتنا وأغنتنا ولم يخرج منا أحد، فقال الله: يا موسى، إن من منعتكم السقيا به تاب، وسألني وأعطيته وسقيتكم بعده، فقال موسى: يا رب، أرني ذلك الرجل، فقال الله جل وعلا: يا موسى، سترته أربعين عاماً وهو يعصيني، أفأفضحه وقد تاب إلي وبين يدي؟! (ضعيف والمعنى صحيح وله شواهد كثيرة من القرآن والسنة تشهد لمعناه)

قال ابن القيم-رحمه الله- في "القصيدة النونية" عن رب العالمين:

وهو الحيُّ فليس يَفْضَحُ عَبْدُهُ عندَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعِصْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَيْنَهُ سِتْرَهُ فَهَوَ السِّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ

وكان يحيى بن معاذ ينادي ربه ويقول: "إلهي ما أكرمك، إن كانت الطاعات: فأنت اليوم تبذلها وغداً تقبلها، وإن كانت الذنوب: فأنت اليوم تسترها وغداً تغفرها، فنحن من الطاعات بين عطيتك وقبولك، ومن الذنوب بين سترك ومغفرتك".

فما أكرمه سبحانه وما أحلمه على خلقه، إن سأله فلا يردهم، وإن عصوه فلا يفضحهم؛ مع أنهم يقابلون إحسانه بالكفران، ونعمه بالعصيان، وخيره إليهم نازل، وشرهم وسوء عملهم إليه صاعد، يتحجب إليهم بالنعم وهو غني عنهم، ويتبغضون إليه بالذنوب، ولو شاء لفضحهم وعاقبهم، ولكنه ستر يحب الستر.

٤- أحب ربي... لأنه غفور، يغفر الذنوب جميعاً مهما عظمت:

الغفور والغفار: هما من أبنية المبالغة، ومعناها السائر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم. ومعنى الغفران والمغفرة من الله: أن يصون الله تعالى العبد من أن يمسه العذاب، وغافر الذنب اسم من أسماء الله الحسنى التي تُضم إلى التسعة والتسعين اسماً المشهورة. (المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: ٣٦٢)

قال الغزالي-رحمه الله-: "الغفار": هو الذي أظهر الجميل، وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التي سترها الله بإسبال السّتر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، والغفر هو السّتر".

وقال الخطابي-رحمه الله-: "الغفار هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى، كلما تكرّرت التوبة من الذّنب تكرّرت المغفرة".

ومعنى الاستغفار: هو طلب المغفرة من الله، والمغفرة عندما يطلبها العبد من ربه، يعني يسأله أن يتجاوز عن الذنب، ويمحو ويزيل أثره، فلا يعاقب عليه، ولا يؤاخذ به، فمن عُفِر ذنبه لم يعاقب عليه، وهذا في حق من تاب من الذنب واستغفر الله منه، ولم يصِر عليه.

الله تعالى يدعو عباده إلى الاستغفار:

ولشرف وفضل وعلو مكانة الاستغفار دعا الله تعالى عباده إليه، وحثهم عليه، وحببهم فيه:

قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ (سورة إبراهيم: ١٠)

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: "يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبراً للعباد عن ربهم: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب. ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربحكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعاً من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: وصفه بالمغفرة والرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تنزل آثارهما سارية في الوجود، مألثة للموجود، تسح يدها من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهر، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم". اهـ

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء: ١١٠)

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: "﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله استغفارًا تامًا يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود. فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة. فيغفر له ما صدر منه من الذنب، ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعييب، ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة، ويوقفه فيما يستقبله من عمره، ولا يجعل ذنبه حائلًا عن توقيفه، لأنه قد غفره، وإذا غفره غفر ما يترتب عليه.

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه: ٨٢)

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: "ومع هذا، فالتوبة معروضة، ولو عمل العبد ما عمل من المعاصي، فلهذا قال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ أي: كثير المغفرة والرحمة، لمن تاب من الكفر والبدعة والفسوق، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعمل صالحًا من أعمال القلب والبدن، وأقوال اللسان. ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ أي: سلك الصراط المستقيم، وتابَعَ الرسول الكريم، واقتدى بالدين القويم، فهذا يغفر الله أوزاره، ويعفو عما تقدم من ذنبه وإصراره، لأنه أتى بالسبب الأكبر، للمغفرة والرحمة، بل الأسباب كلها منحصرة في هذه الأشياء فإن التوبة تجب ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدم ما قبله، والعمل الصالح الذي هو الحسنات، يذهب السيئات، وسلوك طرق الهداية بجميع أنواعها، من تعلم علم، وتدبر آية أو حديث، حتى يتبين له معنى من المعاني يهتدي به، ودعوة إلى دين الحق، ورد بدعة أو كفر أو ضلالة، وجهاد، وهجرة، وغير ذلك من جزئيات الهداية، كلها مكفرات للذنوب محصلات لغاية المطلوب". اهـ

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ١٩٩)

والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، وما ذكر فيه الكفاية.

ومن رحمة الله بنا أن جعل التوبة ومغفرة الذنوب أسهل تناولًا وأسرع قبولًا:

وقد مر بنا في تفسير ابن المنذر -رحمه الله-: "أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا مجتمعين عند ابن مسعود ؓ فتذاكروا بني إسرائيل وما أعطاهم الله من فضائل، فقال عبد الله بن مسعود ؓ: "كان الرجل من بني إسرائيل إذا أذنب ذنبًا كُتِبَ ذنبه على باب داره، وكُتِبَ معه كفارة ذلك ليغفر ذلك الذنب، أما أنتم فجعل الله مغفرة ذنوبكم قولًا تقولونه بألسنتكم، ثم تلا قول الحق: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَضِلَّ﴾ (١٣٥) أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ (آل عمران: ١٣٦، ١٣٥) فقال ابن مسعود ؓ: والله ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي زر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا عبادي! إنني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي، كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلُّكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعونني، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على اتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قلب رجلٍ واحدٍ منكم؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيت كلَّ إنسانٍ مسألتَه؛ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكُم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه."

والشاهد من الحديث هو قوله تعالى: "... يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم...".

وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء^(١) ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي^(٢) يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرةً". (صحيح الترغيب: ١٦١٦) (السلسلة الصحيحة: ١٢٧) (صحيح الجامع: ٤٣٣٨)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي زر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هزولاً، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً، لقيته بمثلها مغفرةً".

يا كبير الذنب عفو الله
من ذنبي أكبر
أكبر الأشياء في جانب
عفو الله تغفر

أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب "حسن الظن بالله" عن سعيد بن ثعلبة الوراق قال: بتنا ليلة مع رجل من العابدين على الساحل بـ "سيراف" فأخذ في البكاء، فلم يزل يبكي حتى خفنا طلوع الفجر، ولم يتكلم بشيء، ثم قال: "جرمي عظيم وعفوك كبير، فاجمع بين جرمي وعفوك يا كريم" قال: فتصاخر الناس من كل ناحية.

١ - عنان السماء: بفتح العين - هو السحاب.
٢ - يعني: على كثرة ذنوبك وخطاياك، ولا يتعاطمني ذلك، ولا أستكرهه، وقد روى الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: "إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء".

وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الشيطان قال: وعزتك يا رب، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، قال الرب: وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦١٧)

قال عبد الله بن المبارك -رحمه الله-: كنت آتي سفيان الثوري عشية عرفة، وهو جاث على ركبتيه، وعيناه تهملان، فبكيته، فالتفت إلي فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ أهل الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم". (موسوعة ابن أبي الدنيا: ١/٨٩).

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يُنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ".

وحاصل هذا الحديث أن الله تعالى سبق في علمه أنه يخلق من يعصيه، فيتوب، فيغفر له؛ وذلك لأن الله عز وجل يحب من عبده مقام العبودية الذي هو منتهى الدل مع منتهى الحب، وليس في الحديث مؤاساة للمُنْهَمَكِينَ فِي الذُّنُوبِ، وإنما فيه بيان عفو الله تعالى وتجاوزه عن المذنبين النَّائِبِينَ؛ ليرغبوا في التوبة إلى الله فيتوبوا، وليبين النبي ﷺ أن الله سبحانه كما يجازي المحسنين بإحسانهم فإنه يعفو ويصفح عن المذنبين.

- فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتُمْ لَغَفَرَ لَكُمْ، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون ثم يستغفرون فيغفر لهم". (الصحيحة: ١٩٥١)

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لو أنكم تكونون على حال على الحالة التي أنتم عليها عندي، لصافحتكم الملائكة بأقْفِهِمْ، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تُذْنِبُوا، لجاء الله بقوم يُذْنِبُونَ كَي يَغْفِرَ لَهُمْ". (صحيح الجامع: ٥٢٥٣)

- وأخرج الإمام مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لو أنكم لم تكن لكم ذنوب، يَغْفِرَهَا اللَّهُ لَكُمْ، لجاء الله بقوم لهم ذنوب، يَغْفِرُهَا لَهُمْ".

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ".

تنبية: وقوله سبحانه وتعالى: "فليعمل ما شاء" ليست دعوة لفتح باب المعصية، حاشاه سبحانه، فهو تعالى يريد أن يتوب علينا، ويعطي الأجر الكبير والثواب العظيم لمن ترك الذنوب مخافة منه. فالمقصود من قوله: "فليعمل ما شاء": والله أعلم؛ أنه ما دام كلما أذنب ذنبًا تاب من ذنبه واستغفر الله ولم يعد إليه، بدليل قوله: "ثم أصاب ذنبًا آخر" أي أن هذا الذنب بخلاف الذنب الأول، فإذا كان هذا دأبه أنه كلما أذنب بادر بالتوبة والاستغفار والعزم على عدم العود، فهذا كفارة لذنبه، بخلاف من يذنب الذنب، فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع، فهذه توبة الكذابين.

وقد بَوَّبَ النووي -رحمه الله- على هذا الحديث قوله: باب "قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة". وقال في شرحه: هذه المسألة تقدمت في أول كتاب التوبة، وهذه الأحاديث ظاهرة في الدلالة لها، وأنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر، وتاب في كل مرة: قبلت توبته، وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها: صحت توبته. (شرح مسلم: ٧٥/١٧).

وكما يُبغض الله تعالى المعصية ويتوعد عليها بالعقاب، فإنه لا يحب أن يقنط عباده من رحمته عز وجل، وهو يحب أن يستغفره العاصي ويتوب إليه، ويود الشيطان أن لو يقع يأس وقنوط من العبد العاصي حتى يصدّه عن التوبة والإنابة.

قيل للحسن البصري -رحمه الله-: ألا يستحيي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود؟ فقال: ود الشيطان لو ظفر منكم بهذا، فلا تملؤا من الاستغفار.

- أخرج الحاكم عن البراء رضي الله عنه أن رجلاً قال له: يا أبا عمار! قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أهو الرجل يلقي العدو فيقاتل حتى يقتل؟ قال: لا، ولكن هو الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يغفره الله." (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٤)

• تحذير لمن يقنط الناس من رحمة الله:

أخرج الإمام مسلم من حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى^(١) علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحببت عمالك."

١- يتألى: يعني: يحلف.

٥- أحب ربي... لأنه تواب:

بداية لابد أن نعلم أن هناك فارق بين الاستغفار والتوبة، وفارق بين "الغفار" و"التواب" ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (سورة هود: ٣)

والفارق بين "الغفار" و"التواب": يكمن في أن الغفار اسم لله يدل على سعة مغفرته وتغطيته للذنوب مهما كثرت أو عظمت (الستر والتجاوز)، بينما التواب اسم لله يدل على إقباله على عبده ليقبل توبته ويفتح له باب الرجوع إليه مرارًا وتكرارًا (المبالغة في قبول التوبة). كلاهما من أسماء الله الحسنى التي تدل على الرحمة والمغفرة، ولكن الغفار يركز على الفعل (المغفرة نفسها)، والتواب: يركز على الاستجابة (قبول التوبة). فالغفار: أي الستار للعيوب والذنوب والمتجاوز عنها، ويغفر الذنوب مهما كثرت وتعددت. فهذا الاسم يدل على كثرة المغفور لهم، وكثرة الذنوب المغفورة.

قال تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة يوسف: ٩٨)

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ اتَّهَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ١٩٢)

والتواب: أي الذي يقبل توبة عبده ويُعيده إليه، فهو كثير الرجوع على عباده بالقبول والمغفرة. وهذا الاسم يدل على كثرة قبول التوبة، فهو سبحانه يقبل التوبة من كل تائب ويفتح الباب له.

قال تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة: ٣٧)

وقال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٠) قال أهل التفسير: أتوب عليهم بالقبول والمغفرة. وأنا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة.

فالغفار: يغفر الذنوب الكثيرة والعظيمة. (المغفرة الشاملة لكم والكيف)

والتواب: يقبل التوبة مرارًا وتكرارًا ويبسرها للعباد. (الاستجابة لقبول التوبة)

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٥٣)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ من شرك وكبائر، وصغائر ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ بأن ندموا على ما مضى، وأقلعوا عنها، وعزموا على أن لا يعودوا وآمَنُوا بالله وبما أوجب الله من الإيمان به، ولا يتم الإيمان إلا بأعمال القلوب، وأعمال الجوارح المترتبة على الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: بعد هذه الحالة- حالة التوبة من السيئات والرجوع إلى الطاعات- ﴿لَغَفُورٌ﴾ يغفر السيئات ويمحوها، ولو كانت قراب الأرض ﴿رَحِيمٌ﴾ بقبول التوبة، والتوفيق لأفعال الخير وقبولها ". اهـ

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى: ٢٥)

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: " هذا بيان لكمال كرم الله تعالى وسعة جوده وتعام لطفه، بقبول التوبة الصادرة من عباده حين يقلعون عن ذنوبهم ويندمون عليها، ويعزمون على أن لا يعاودوها، إذا قصدوا بذلك وجه ربه، فإن الله يقبلها بعد ما انعقدت سبباً للهلاك، ووقوع العقوبات الدنيوية والدينية. ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ ويمحوها، ويمحو أثرها من العيوب، وما اقتضته من العقوبات، ويعود التائب عنده كريماً، كأنه ما عمل سوءاً قط، ويحبه ويوفقه لما يقربه إليه. ولما كانت التوبة من الأعمال العظيمة، التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها، وقد تكون ناقصة عند نقصهما، وقد تكون فاسدة إذا كان القصد منها بلوغ غرض من الأغراض الدنيوية، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله، ختم هذه الآية بقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فالله تعالى دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه والتوبة من التقصير، فانقسموا - بحسب الاستجابة له - إلى قسمين: مستجيبين وصفهم بقوله ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾". اهـ

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٤)

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: " أي: أما علموا سعة رحمة الله وعموم كرمه وأنه يقبل التوبة عن عباده التائبين من أي ذنب كان، بل يفرح تعالى بتوبة عبده، إذا تاب أعظم فرح. ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ منهم، أي يقبلها، ويأخذها بيمينه، فيريها لأحدهم كما يربي الرجل فله، حتى تكون التمرة الواحدة كالجبل العظيم، فكيف بما هو أكبر وأكثر من ذلك. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ أي: كثير التوبة على التائبين، فمن تاب إليه تاب عليه، ولو تكررت منه (المعصية) مراراً. ولا يمل الله من التوبة على عباده، حتى يملوا هم، ويأبوا إلا النفار والشرود عن بابه، وموالاتهم عدوهم. ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، وكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بآياته، ويتبعون رسوله ". اهـ - ومن رحمة الله بنا أن جعل باب التوبة مفتوحاً فلا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، أو عند بلوغ الروح الحلقوم:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ".

فلا تزال التوبة مقبولة، حتى إذا طلعت الشمس من مغربها امتنعت التوبة على من لم يكن تاب قبل ذلك، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾

(الأنعام: ١٥٨)، وللتوبة حد آخر؛ وهو أن يتوب الإنسان قبل غرغرة الموت، وهي وصول الروح إلى الحلقوم، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (النساء: ١٨)

وأخرج الترمذي عن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ بَابًا، عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ لَا يُغْلَقُ؛ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ (الأنعام: ١٥٨)**". (صحيح الترمذي: ٢٨٠١)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَعِرْ**". (صحيح الترمذي: ٣٥٣٧) (صحيح الجامع: ١٩٠٣) والمُرَادُ بِالغُرْعَةِ، أَي: مَا لَمْ تَبْلُغْ رُوحَهُ حُلُقُومَهُ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الَّذِي يَتَغَرَّعُرُ بِهِ الْمَرِيضُ.

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرِ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا^(١)، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً^(٢)**".

وهذا الحديث يدل على رحمة الله تعالى بخلقه، وكريم لطفه وبره بعباده، فإن الله يمهد الطريق لطاعته ويذل السبيل لعبادته، فإذا أذنب العبد منحه الله الفرصة ودعاه إلى الإنابة والعودة، وإذا تقرب العبد إلى الله تعالى؛ تقرب الله منه، وإذا تاب إلى الله تعالى تاب الله عليه، والله أسرع إلى عبده بالمغفرة من عبده إليه بالتوبة. **حَقًّا: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٨٣)**

قال الشافعي -رحمه الله-:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي	جَعَلْتَ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ	بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ	تَجُودُ وَتَعْفُو مَنَةً وَتَكْرَمًا

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**".

وفي هذا الحديث يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ عَظِيمَ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَعَةَ رَحْمَتِهِ وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ " **يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ**" والمعنى: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ وَإِنْ تَأَخَّرَتْ بَعْدَ ارْتِكَابِ الذَّنْبِ، فَالتَّوْبَةُ وَإِنْ كَانَتْ مَأْمُورًا بِهَا عَلَى الْفَوْرِ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا تَأَخَّرَتْ قَبْلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْبًا بِالنَّهَارِ وَتَابَ بِاللَّيْلِ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، وَإِنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا بِاللَّيْلِ وَتَابَ بِالنَّهَارِ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، وَبَسَطَ يَدَهُ سُبْحَانَهُ يَتَلَقَّى بِهِمَا تَوْبَةَ التَّائِبِ فَرَحًا بِهَا وَقَبُولًا لَهَا.

١- الباع: طُولُ ذِرَاعِي الْإِنْسَانِ وَعَضْدِيهِ. يَعْنِي الْمَسَافَةَ بَيْنَ الْكَفَيْنِ إِذَا انْبَسَطَتِ الذَّرَاعَانِ يَمِينًا وَشِمَالًا.
٢- الْهَرْوَلَةُ فِي اللُّغَةِ: الْإِسْرَاعُ فِي الْمَشْيِ دُونَ الْعَدْوِ، وَصِفَةُ الْهَرْوَلَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَلِيْقُ بِهِ، وَلَا تُشَابِهُ هَرْوَلَةَ الْمَخْلُوقِينَ.

ومن كرم الله ورحمته: فإنه يدعو المشركين وجميع المذنبين إلى التوبة:

• الله عز وجل دعا الناس جميعا إلى التوبة الصادقة. حتى دعا المشركين إلى التوبة، فقال تعالى:

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: ١١)

• ودعا إلى التوبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى:

الذين قالوا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ (آل عمران: ١٨١)

والذين قالوا: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ ﴾ (المائدة: ٦٤) والذين قالوا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ (المائدة: ٧٣)

والذين قالوا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة: ١٧) والذين قالوا: ﴿ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣٠)

والذين قالوا: ﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣٠)

فدعاهم الله جميعاً إلى التوبة فقال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٧٤)

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: قَدْ دَعَا اللَّهُ إِلَى مَغْفِرَتِهِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عَزِيزًا ابْنَ اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٧٤) (تفسير ابن كثير)

• ودعا المنافقين إلى التوبة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ

تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿

(النساء: ١٤٥، ١٤٦)

• بل فتح الله باب التوبة لأصحاب الكبائر ليتوبوا، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي

الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُنَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٣) وعلى الرغم من تلك الجرائم والكبائر إلا أن الله جل وعلا دعاهم للتوبة، فقال

تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٤)

• وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكي يتوبوا.

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا

فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئًا ﴿ (مريم: ٦٠، ٥٩)

• وها هم أصحاب الأخدود الذين حرّقوا المؤمنين والمؤمنات، وظلموهم بلا ذنب اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد. هؤلاء الذين فرقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها في النار، وجلسوا يتلذذون بمشاهدة المؤمنين وهم يموتون في النيران، وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم باب التوبة ليتوبوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (البروج: ١٠) فقولته تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: انظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ!". (تفسير ابن كثير)

• وها هم أهل الشرك والقتل والزنا يفتح الله أمامهم باب التوبة، فيقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلْدُ فِيهِ مَهَانًا﴾ (الفرقان: ٦٨، ٦٩) ثم بعد ذلك يفتح الله لهم باب التوبة، ويقول: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠)

• ودعا إلى التوبة الذين يكتمون العلم ويضللون الناس:

فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٥٩، ١٦٠)

قال القرطبي -رحمه الله-: "وَلَا يَكْفِي فِي التَّوْبَةِ عِنْدَ عُلَمَائِنَا قَوْلُ الْقَائِلِ: قَدْ تُبْتُ، حَتَّى يَظْهَرَ مِنْهُ فِي الثَّانِي خِلَافُ الْأَوَّلِ، فَإِنْ كَانَ مُرْتَدًّا رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ مُظْهِرًا شَرَائِعَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي ظَهَرَ مِنْهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَجَانَبَ أَهْلَ الْفُسَادِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَوْثَانِ جَانَبَهُمْ وَخَالَطَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهَكَذَا يَظْهَرُ عَكْسَ مَا كَانَ عَلَيْهِ". اهـ (تفسير القرطبي: ١٨٧/٢)

• ودعا إلى التوبة المسرفين على أنفسهم بالمعاصي من أمة الحبيب النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء: ١١٠)

• بل من كرم الله ورحمته أنه لو تاب الكافر أو المشرك ودخل في دين الإسلام وحسن إسلامه، فإنه يحفظ عليه حسناته التي عملها قبل إسلامه.

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده والنسائي في السنن الكبرى والحاكم في المستدرک بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أسلم العبد فحسن إسلامه، كتب الله له كل حسنة كان أزلفها^(١)، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص^(٢)، الحسنه بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها". (صحيح الجامع: ٣٣٦)

في هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن الإنسان إذا دخل في دين الإسلام وحسن إسلامه، فإن الله تعالى يكتب له بأجر كل عمل صالح كان قد عمله قبل إسلامه، ويُمحو عنه كل سيئة كان قد ارتكبها في جاهليته. ثم بعد ذلك، تكون المعاملة من الله تعالى مع عبده المسلم على أساس القصاص والعدل، فالحسنة تضاعف بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة، أما السيئة فلا تكتب إلا بمثلها، إلا أن يعفو الله ويغفرها فضلاً منه وكرماً. وهذا يدل على عظيم فضل الله وكرمه على من هداه للإسلام وحسن إسلامه.

وأخرج البخاري عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أرأيت أشياء كنت أتحنثُ بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة، وصلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي ﷺ: أسلمت على ما سلف من خير".

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن الكافر إذا أسلم ومات على إسلامه، وكان قبل إسلامه يعمل بعض الصالحات وبعض الخير، كمن يتصدق ويعتق العبيد ويصل الرحم والأقارب، فإنه يُثاب على ما فعله من الخير في حال الكفر، كما ثبت أنه يُمحي عنه كل سيئة كان عملها، فيرجع كما ولدته أمه خالياً من الذنوب والسيئات.

١- أزلفها: قدمها أو عملها في الماضي. والإزلاف: ما قدمه الإنسان من أعمال.
٢- القصاص: المجازاة، أي أن الجزاء بعد الإسلام يكون على أساس الحسنه بعشر أمثالها والسيئة بمثلها.

٦- أحب ربي... لأنه رحيم:

قال سبحانه: ﴿كَبَّرْنَاكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةِ﴾ (الأُنعام: ٥٤)

وهذا إخبار منه سبحانه بأنه كتب الرحمة على نفسه تفضلاً منه بذلك، من غير أن يوجبها عليه موجب أو يقترحها عليه مقترح. قال أيضاً إخباراً عن دعاء الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ (غافر: ٧)

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣)

وقال جل وعلا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رحمه الله-: "اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ، فَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي، رَحْمَتُكَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَا شَيْءٌ فَلْتَسَعْنِي رَحْمَتُكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ".

الله عز وجل أرحم بنا من أمهاتنا.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَبْيِ (١)، فَأِذَا امْرَأَةً مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى، إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ فَأَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلِدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا وَاللَّهِ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا".

ورحمة الله بعباده أشد وأعظم من رحمة الأم بولدها، وهذا مثال محسوس ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لتبيين سعة رحمة الله الواسعة، والتي لا تُقارن بأي رحمة بشرية، فكما لا يمكن لتلك الأم أن تطرح ولدها في النار، فالله أرحم بعباده من هذه بولدها، وهذا ما يبعث في القلوب الأمل والطمأنينة.

قال حماد بن سلمة -رحمه الله-: "ما يسرني أن أمري يوم القيامة صار إلى والدي، إن ربي أرحم بي من والدي".

وذكر هذا أيضاً عمرو بن ميمون -رحمه الله- فقال: "ما يسرني أن أمري يوم القيامة إلى أبي".

لعلمه رحمه الله أن الله تبارك وتعالى أرحم وألطف وأبر وأكرم به من والديه. (تهذيب الحلية: ٧٢ / ٢)

قال بعض العباد: "لما علمت أن ربي عز وجل يلي محاسبتي زال عني حزني، لأن الكريم إذا حاسب عبده تفضل".

ومرض أعرابي فقيل له: إنك تموت، قال: إلى أين يذهب بي بعد الموت؟ قالوا: إلى الله، قال: فما كراحتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه؟. (موسوعة ابن أبي الدنيا: ٣٠٩/٥).

١- سبئ: أي عبيد، وهم أسرى الحرب، قيل: هم أسرى هوازن.

• وما أعظم الرحمة وأشرفها وأجملها حيث يكتب الله تعالى كتابها بيده سبحانه:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ .**

- وفي رواية: " **لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي.**" (أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه)

- وفي رواية عند ابن ماجه بلفظ: " **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِيَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي .**" (صحيح ابن ماجه: ١٥٧)

وفي هذا الحديث يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ فِي كِتَابٍ - قِيلَ: فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، وَقِيلَ: فِي كِتَابٍ خَاصٍّ بِذَلِكَ الْأَمْرِ تَنْوِيهًا بِشَأْنِهِ، وَرَفَعًا لِقَدْرِهِ، وَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ: أَنَّ رَحْمَتَهُ تَعَالَى سَبَقَتْ غَضَبَهُ؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فَكَانَتْ رَحْمَتُهُ أَسْبَقَ لِعِبَادِهِ مِنَ الْغَضَبِ عَلَيْهِمْ، وَرَفَقَهُ بِالْخَلْقِ وَإِنْعَامَهُ عَلَيْهِمْ وَلُطْفَهُ بِهِمْ؛ أَكْبَرَ مِنْ انتِقَامِهِ وَأَخْذِهِ، كَيْفَ لَا، وَابْتِدَاؤُهُ الْخَلْقَ وَتَكْمِيلَهُ وَإِتْقَانَهُ، وَتَرْتِيبَهُ، وَخَلَقَ أَوَّلَ نَوْعِ الْإِنْسَانِ فِي الْجَنَّةِ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ السَّابِقَةِ؟! وَكَذَلِكَ مَا رَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ النَّعْمِ وَاللِّطَافِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ رَحِمَاتٌ مُتَلَحِّقَاتٌ، فَهُوَ قَدْ ابْتَدَأَ خَلْقَهُ بِالنَّعْمَةِ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، فَالرَّحْمَةُ تُشْمَلُ الْإِنْسَانَ جَنِينًا، وَرَضِيعًا، وَفَطِيمًا، وَنَاشِئًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنَ الطَّاعَةِ، وَبَسَطَ لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ فِي قُلُوبِ الْأَبْوَيْنِ عَلَى الْأَبْنَاءِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى تَرْبِيَّتِهِمْ وَمُبَاشَرَةِ أَقْدَارِهِمْ؛ مَا إِذَا تَدَبَّرَهُ مُتَدَبِّرٌ أَيْقَنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى السَّابِقَةِ أَنَّهُ يَرْزُقُ الْكُفَّارَ وَيُنْعِمُهُمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ الْآلَامَ، ثُمَّ رُبَّمَا أَدْخَلَهُمُ الْإِسْلَامَ - رَحْمَةً مِنْهُ لَهُمْ - وَقَدْ بَلَغُوا مِنَ التَّمَرُّدِ عَلَيْهِ وَالْخَلْعِ لِرُبُوبِيَّتِهِ غَايَاتٍ تُغْضِبُهُ، فَتَغْلِبُ رَحْمَتُهُ وَيُدْخِلُهُمْ - بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ - جَنَّتَهُ، وَمَنْ لَمْ يَنْتَبِ عَلَيْهِ حَتَّى تَوْفَاهُ فَقَدْ رَحِمَهُ مُدَّةَ عُمُرِهِ بِتَرَاحِي عُقُوبَتِهِ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ لَهُ الْأَلَّا يُمَهِّلُهُ بِالْعُقُوبَةِ سَاعَةً كُفِّرَ بِهِ وَمَعْصِيَّتِهِ لَهُ، لَكِنَّهُ أَمَهَّلَهُ رَحْمَةً لَهُ، وَلَا يَلْحَقُهُ الْغَضَبُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ مَا يَسْتَحِقُّ مَعَهُ ذَلِكَ، فَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ شَوَاهِدِ سَبْقِ رَحْمَتِهِ تَعَالَى لِعُضْبِهِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ السَّابِقَةَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا وَصَفُ. (الدرر السنية)

أخرج البزار وابن أبي الدنيا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **لَوْ تَعَلَّمُونَ قَدْرَ رَحْمَةِ اللَّهِ لَا تَكَلَّمْتُمْ عَلَيْهَا .**" (صحيح الجامع: ٥٢٦٠) (الصحيحة: ٢١٦٧)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ .**"

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لو يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَقُوبَةِ، مَا طَمَعَ فِي الْجَنَّةِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدٌ " .

(صحيح الجامع: ٥٣٣٨)

فسبحانه ما أعظم حلمه، وأجلّ كرمه، وأوسع رحمته، وأحسن مغفرته، وأكبر ستره، وأيسر لطفه، وأمن عطاءه وعطفه. فمن لجأ إليه، ولاذ بجنابه، واحتتمى بحماه أمن العذاب، ونجا عند الحساب، ونال الشرف الرفيع، ومن توكل على غيره، واعتمد على سواه ضاع، وظمأ وجاع، ولم يُطعم إلاّ الضريع.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: " انظر إلى ما في الوجود من آثار رحمة الله تعالى الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه، وعصمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض، وجعلها مهادًا وفراشًا وقرارًا وكفاتًا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأخرج الفواكه والأقوات والمرعى، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذلكها منقادة للركوب والحمل والأكل والدر، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم الرحمن الرحيم، وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمته، وبصرهم ومكن لهم أسباب مصالحهم برحمته، وكان عن صفة الرحمة الجنة وسكانها وأعمالها، فبرحمته خلقت، وبرحمته عمرت بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمته طاب عيشهم فيها، وبرحمته احتجب عن خلقه بالنور، ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. ومن رحمته أنه يعيد من سخطه برضاه، ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه بنفسه، ومن رحمته أن خلق مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها، فيها تعطف الوالدة على ولدها والطيور والوحش والبهائم، وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه " . اهـ (مختصر الصواعق المرسله: ٢/ ٣٠٣)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " وتأمل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣)﴾

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿ (الرحمن: ١-٤) كيف جعل الخلق والتعليم ناشئًا عن صفة الرحمة متعلقًا باسم الرحمن، وجعل

معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم وختمها بقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨)

فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة، إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك، فكل ما ذكر عليه بورك فيه، وكل ما خلى منه نزعته منه البركة، فإن كان مذكى وخلى منه اسمه كان ميتة، وإن كان طعامًا شارك صاحبه فيه الشيطان، وإن كان مدخلًا دخل معه فيه، فاسمه مبارك لا يذكر في قليل إلاّ كثره ... " . اهـ

• وإذا أراد الله بأهل الأرض خيراً نشر عليهم أثراً من آثار اسمه "الرحمن" فعمر به البلاد وأحيا به العباد، وإذا أراد بهم شراً أمسك عنهم ذلك الأثر فحل بهم من البلاء بحسب ما أمسك عنهم من آثار اسمه "الرحمن"، ولهذا إذا أراد الله سبحانه أن يخرب هذه الدار ويقيم القيامة أمسك عن أهلها أثر هذا الاسم وقبضه شيئاً فشيئاً، حتى إذا جاءه وعده قبض الرحمة التي أنزلها إلى الأرض، فتضع لذلك الحوامل ما في بطونها، وتذهل المراضع عن أولادها، فيضيف سبحانه تلك الرحمة التي رفعها وقبضها من الأرض إلى ما عنده من الرحمة فيكمل بها مائة رحمة فيرحم بها أهل طاعته وتوحيده وتصديق رسله وتابعيهم.

- ومن رحمته سبحانه: أنه أنزل الكتاب، وأرسل الرُّسُلَ، لهداية الناس، وإقامة الحجة عليهم.

فقد أخرج البخاري مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش، وليس أحد أحب إليه الغدر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرُّسُلَ".

- ومن رحمته: جعله أثقل شيء في الميزان شهادة أن لا إله إلا الله، فلا يتقل معها شيء.

- ومن رحمته: إدخاله الجنة بشفاعته رجل من أمة محمد ﷺ أكثر من ربيعة ومُضِر.

- ومن رحمته: إخراج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى ذرة من إيمان بشفاعته الشافعين، حتى إذا لم يبق لأحد غاية في شفاعته، ولا مطمع في رجاء، أخرج الرحمن برحمته من لم يفعل خيراً قط من أهل التوحيد؛ فهم: عتقاء الرحمن.

- ومن رحمته: أن فتح باب الرحمة على مصراعيه، ودعا عباده بالإقبال عليه، واللجوء إليه، فمن ذا الذي دعاه فلم يجبه؟! ومن ذا الذي سأله فلم يعطه؟! ومن ذا الذي دنا إليه فلم يقربه؟! ومن ذا الذي رغب إليه فلم ينفعه?!.

- ومن رحمته: أنه ينزل كل ليلة على عباده جواداً كريماً، غفوراً رحيمًا، إذا بقي ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟ وذلك حتى يطلع الفجر.

- ومن رحمته: أنه يبسط يديه بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويبسط يديه بالليل ليتوب مسيء النهار.

- ومن رحمته: أنه سبحانه واسع العفو والغفران، وأنه لا يتعاضمه ذنب أن يغفره، أو عبد أن يرحمه، أو طلب أن يلبيه، وأنه أخبر سبحانه وتعالى أنه أرحم الراحمين، وأنه لا يبأس من روحه إلا الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا الخاسرون الضالون. وأن رحمته وسعت كل شيء.

- ومن رحمته: أنه لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئاً، لأتاه بقرابها مغفرة.

- ومن رحمة الله جمع الخلق للحساب: قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢)

- ومن رحمته سبحانه وتعالى: خلق الخلائق، وتيسير سبل الحياة، وطرق المعيشة لهم، وهياً لهم المنافع الدنيوية. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَنْوَاجًا﴾

- ومن رحمته سبحانه وتعالى: أن جعل القرآن الكريم آخر الكتب المنزلة من السماء إلى الأرض، فختم به سبحانه الكتب، وجعله مهيمناً على جميعها، واختص به أمة النبي ﷺ دون الأمم، وجعله سبحانه رحمة لهم وبهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٥٢).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١).

وقال تعالى: ﴿وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢)

- ومن رحمته سبحانه وتعالى: التيسير في شرعه للعباد، وعدم العسر ورفع الحرج والمشقة عنهم.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق: ٧).

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨).

- ومن رحمته سبحانه وتعالى: أنه لما فرضت الصلاة على النبي ﷺ في رحلة المعراج المباركة، وظل يتردد بين موسى عليه السلام وربه تعالى حتى أصبحت خمس صلوات بعد أن كانت خمسين صلاة، وقال فيها تعالى: هن خمس بأجر خمسين، أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي.

- ومن رحمته سبحانه وتعالى أنه لا يكتب على عبده الذنب إذا عمله إلا بعد ست ساعات، لعله يتوب ويرجع، فلا يكتب عليه.

أخرج الطبراني وأبو نعيم في "حلية الأولياء" والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ صَاحِبَ الشَّمَالِ لِيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمَخْطِئِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً". (صحيح الجامع: ٢٠٩٧)

ومما يدل على رحمة الله بنا؛ ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا^(١)**، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَيًّا، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقْرَعَ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ.

وفي الحديث: تَبَشِيرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْأُمَّمِ الَّتِي يَمُوتُ نَبِيُّهَا قَبْلَهَا بِشَفَاعَتِهِ لِأُمَّتِهِ وَوَسَاطَتِهِ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ. وفيه أيضًا: إشارة إلى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْأُمَّةِ الْمَحْمُودِيَّةِ وَتَبَشِيرِهَا وَقَضَائِهَا؛ حَيْثُ كَانَ قَبْضُهُ ﷺ رَحْمَةً لَهُمْ، كَمَا كَانَ بَعْثُهُ كَذَلِكَ.

ومن صور رحمة الله وكرمه على عباده: أن الإنسان إذا أسرف على نفسه في الذنوب، فإن الله عز وجل يطهره منها بالمصائب المكفرات حتى يوافيه يوم القيامة ولا ذنب عليه.

وهذا من كرمه وعظيم رحمته بعباده، من أقبل إليه تلقاه من بعيد، ومن أعرض عنه ناداه من قريب، أهل معصيته لا يقنطهم من رحمته، إن تابوا فهو حبيبهم، وإن لم يتوبوا فهو رحيم بهم، يبتليهم بالمصائب ليطهرهم من المعاييب.

- **فقد أخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه، وولده، وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة "**. (صحيح الجامع: ٥٨١٥)

- **فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " ما يصيب المسلم من نصب^(٢) ولا وصب^(٣)، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها "**.

- **وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (النساء: ١٢٣) بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: " قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها^(٤) أو الشوكة يشاكها "**.

يقول ابن القيم -رحمه الله- **كما في مدارج السالكين: لأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تف بطهرهم، طهروا في نهر الجحيم يوم القيامة: نهر التوبة النصوح. ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها، ونهر المصائب العظيمة المكفرة. فإذا أراد الله بعبده خيرًا أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة، فورد القيامة طيبًا طاهرًا، فلم يحتج إلى التطهير الرابع (نهر الجحيم).**

١- فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا: أَي سَابِقًا وَمُقَدِّمًا وَشَفِيعًا، حِينَ مَاتَ رَاضِيًا عَنْهَا.

٢- نَصَبٌ: تَعَبٌ.

٣- وَصَبٌ: وَجَعٌ.

٤- حَتَّى النُّكْبَةِ يَنْكُبُهَا: هِيَ مِثْلُ الْعَثْرَةِ بِرِجْلِهِ، وَرَبْمَا جَرَحَتْ إِبْصِعَهُ، وَأَصْلُ النُّكْبِ: الْكَبُّ وَالْقَلْبُ.

وأخرج الإمام مسلم عن الأسود قال: " دخل شباب من قريش على عائشة-رضي الله عنها- وهي بمنى وهم يضحكون، فقالت: ما يضحكم؟ قالوا: فلان خر على طنّب^(١) فسطاط^(٢)، فكادت عنقه أو عينه أن تذهب، فقالت: لا تضحكوا: فإني سمعت رسول الله ﷺ قال: " ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة ".

• وهذا الابتلاء دليل على محبة الله تعالى لعبده المُبتلى، وإرادة الخير له:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " من يرد الله به خيراً يُصب منه ".

وأخرج الترمذي وابن ماجه بسند صحيح عن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن عِظَمَ الجِزَاءِ مع عِظَمِ البِلاءِ، وإن الله إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم؛ فمن رَضِيَ فله الرِّضَى، ومن سَخِطَ فله السُّخْطُ ".

قال الألباني-رحمه الله-: " وهذا الحديث يدل على أمر زائد على ما سبق، وهو أن البلاء إنما يكون خيراً، وأن صاحبه يكون محبوباً عند الله تعالى، إذا صبر على بلاء الله تعالى، ورضي بقضاء الله ﷻ ".

• وهناك سؤال: أين هذا الخير الذي أراد الله بعبده عندما يبتليه بالبلاء؟

والجواب: الخير في أنه- سبحانه وتعالى- يطهره بهذا البلاء من الذنوب والمعاصي والآثام، فيوفيه يوم القيامة ولا ذنب له. كما قال النبي ﷺ في مسند الإمام أحمد بسند صحيح: " فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ".

وأما إذا أراد الله بعبده شراً أمسك عنه مواد التطهير: من بلاء في جسده أو ماله أو ولده... أو غير ذلك من ألوان البلاء، حتى يرد على الله يوم القيامة وقد أثقلت الذنوب كاهله.

وفي هذا يقول النبي ﷺ كما عند الترمذي بسند صحيح من حديث أنس ؓ: " إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة ".

(صحيح الجامع: ٣٠٨)

وكان بعض السلف يقول: " لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس ".

ورحمة الله تغمر كل إنسان في أي زمان ومكان:

وجدها إبراهيم ؑ وسط السنة النار.

وجدها يوسف-عليه السلام- في غيابة الجب، وغياب بالسجن.

وجدها يونس-عليه السلام- في بطن الحوت.

وجدها موسى-عليه السلام- في اليم وهو طفل، وفي قصر فرعون وهو متربص به،

١ - الطنب: هو الحبل الذي يشد به الفسطاط.
٢ - الفسطاط: بيت من الشعر، وهو الخباء ونحوه.

وجدها أصحاب الكهف حين افتقدوها في القصور.

وجدها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار وهو مطارد.

وأنت أخي الحبيب إذا راجعت شريط ذكرياتك لوجدت أن رحمة الله كانت محيطية بك في كل أوقاتك وأعمالك، فكم مرة ذقتها، والعجب من نسيانك لها.

فأتار رحمة الله تبارك وتعالى أجل من أن يحصيها المحصي، أو يعدها العاد، فلا يخفى على كل مسلم أن رحمة أرحم الراحمين التي أنزلها في الدنيا بين عباده هي قوام السماوات والأرض، وعلى الرغم من كونها واحدة من مائة رحمة أعدها الله ليرحم بها عباده في الآخرة، فحصر علاماتها متعذر، واستقصاء دلائلها وأماراتها من الصعوبة بمكان؛ إذ كل شيء في الكون "بدايته، وبقاؤه" برحمة الله كان، فكل نوع من أنواع الرحمة لو أنفق طالبه فيه عمره لما أدرك الغاية وما وقي، وإنما هي قطرات يرتشفها من بحر الهني وكفى. فهو القائل سبحانه: ﴿وَنَشْرُرْ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَكِيلُ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨)

صور من رحمة الله بعباده يوم القيامة:

رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَرَحْمَتُهُ فِي الْآخِرَةِ أَضْعَافُ مَا جَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

- وفي رواية عند البخاري بلفظ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَبْتَئِسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ، لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ".

قال أيوب السخيتاني-رحمه الله:- "إن رحمة الله قسمها في دار الدنيا وأصابني منها الإسلام، إني لأرجو من تسع وتسعين رحمة ما هو أكثر من ذلك".

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ^(١) وَيَسْتُرُهُ^(٢)، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ".

يارب أذنبت ذنوباً لست أنكرها وقد رجوتك يا ذا المن تغفرها
أرجوك تغفرها في الحشر يا سندي إذ كنت في الأرض تسترهما

١- الكنف في اللغة: السُّتْرُ والحرزُ والنَّاحِيَةُ

٢- ويستُرُهُ، أي: يَسْتُرُ عبْدَهُ عن رُؤْيَةِ الْخَلْقِ لَهُ؛ لَنَلَّا يَفْتَضِحُ أَمَامَهُمْ فَيُخْزِي، وَيُكَلِّمُهُ فِيهَا سِرًّا.

• ومن صور رحمة الله بعباده المؤمنين يوم القيامة: ما أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي عز وجل، فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً ".

(السلسلة الصحيحة: ١٤٨٤)

أخرج الترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وعدني ربي أن يدخل الجنة من أممي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثياته ^(١) ". (صحيح الترمذي: ٢٤٣٧)

- وفي رواية: " وعدني ربي أن يدخل الجنة من أممي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي ".

• ومن صور رحمة الله بعباده المؤمنين يوم القيامة: شفاعته تعالى لعباده: فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة: "... شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً، فيلقينهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا، أعطيتنا ما لم نغبط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا، أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي، فلا أسخط عليكم بعده أبداً...".

• ومن صور رحمة الله بعباده المؤمنين يوم القيامة: ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله، فيلتفت أحدهم، فيقول: أي رب، إذ أخرجتني منها فلا تعدني فيها، فينجيه الله منها ".

- وعند ابن حبان بلفظ: " يخرج رجلان من النار فيعرضان على الله ثم يؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول: يا رب ما كان هذا رجائي قال: وما كان رجائك؟ قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها ألا تُعيدني فيرحمهُ الله فيدخلهُ الجنة ".

إلهي لا تُعذبني فإنني	مقر بالذي قد كان مني
وما لي حيلة إلا رجائي	وعفوك إن عفوت وحسن ظني
فكم من زلة لي في البرايا	وأنت عليّ ذو فضلٍ ومن

١- ثلاث حثيات من حثياته: والحثية ما يخنوه الإنسان بيديه من ماء أو تراب أو غير ذلك، ويستعمل فيما يُعطيه المعطي بكفيه دفعة واحدة، وأريد بها الدفعات، أي: يُعطي بعد هذا العد المنصوص عليه ما يخفي على العادين حصره وتعداده؛ فإن عطاءه الذي لا يضبطه الحساب أوفى وأزكى من النوع الذي يتداخله الحساب، وخاصة أنه قال: " من حثيات الله عز وجل"، فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. قال عياض-رحمه الله: " ثلاث حثيات، ويروى حفتات، بفتح الحاء والفاء والتاء، قيل: هو الغرف ملء اليد، وقيل: الحثية باليد الواحدة، والحنفة بهما جميعاً ". (انظر مشارق الأنوار: ١/ ١٨٠).

• ومن صور رحمة الله بعباده المؤمنين يوم القيامة: ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنَشِّرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلَّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصْرِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُكْرِمُ شَيْئًا مِنْ هَذَا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عَذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ وَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَيُخْرِجُ لَهُ بَطَاقَةً فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنَا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ يُقَالُ: فَلَا يَثْقُلُ اسْمَ اللَّهِ شَيْءٌ " . (صحيح الترمذي: ٢٦٣٩)**

• ومن صور رحمة الله بعباده المؤمنين يوم القيامة: ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري ؓ عن النبي ﷺ قال: " **إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَأَكَّكَ مِنَ النَّارِ** " .
- وفي لفظ: " **لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا** " .

قال الإمام النووي -رحمه الله-: الفكاك: بفتح الفاء وكسرها، والفتح أفصح وأشهر، ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: " **ما منكم من أحدٍ إلا له منزلان: منزلٌ في الجنة، ومنزلٌ في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزلَه، فذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(١)** " .
فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره.

وقال أيضًا -رحمه الله- في "رياض الصالحين ص: ٥٣٤": " **معنى فكاكك: أنك كنت معرضًا لدخول النار، وهذا فكاكك؛ لأن الله تعالى قَدَّرَ للنار عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين، والله أعلم " اهـ**

قال عمر بن عبد العزيز والشافعي -رحمهما الله-: " **هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين** " .
وقال النووي -رحمه الله-: " **وهو كما قالوا، لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم، وتعميم الفداء، والله الحمد** " .

وأخرج ابن أبي الدنيا في " كتابه حسن الظن بالله " عن بكر بن سليمان الصَّوَّافِ قَالَ: " **دَخَلْنَا عَلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِي الْعَشِيِّ النَّبِيِّ فُبِضَ فِيهَا فَقُلْنَا: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا أَنَّكُمْ سَتَعَابِثُونَ عَدَا مِنْ عَفْوِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي حِسَابٍ قَالَ: ثُمَّ مَا بَرِحْنَا حَتَّى أَعْمَضْنَاهُ " .**

• ومن صور رحمة الله بعباده المؤمنين يوم القيامة: ما أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التُّفَّتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتَرَفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَنْظِلَ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَغْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَنْظِلُ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تَرَفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَنْظِلَ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَغْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَنْظِلُ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تَرَفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِينَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَنْظِلَ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَغْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخُلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِيئِي مِنْكَ؟ أَيُرِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟"، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكَ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ ".

أحبتني في الله... اعلموا أن كل ما نجده من آثار رحمة الله في الدنيا والآخرة إنما هو بموعد الله لرسوله ﷺ أنه سيرضيه في أمته ولا يسوؤه فيهم. كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

﴿ رَبِّ إِنِّي أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (إبراهيم: ٣٦)، وقول عيسى عليه السلام: **﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾** (المائدة: ١١٨)، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: **اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبِكِي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ أَذْهَبَ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبِّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، أَذْهَبَ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسْوُوكَ "**

الله أكبر... إنه كلام كله أمل ورجاء من رب رحيم كريم، وفيه بشارة للأمة المحمدية، مما يزيدهم طمعاً في رحمة الله ومغفرته وجنته.

وقوله تعالى للنبي ﷺ: **"إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسْوُوكُ"**، أي سَنَرْضِيكَ بِإِعْطَائِكَ مَا طَلَبْتَهُ لِأُمَّتِكَ مِنْ اللَّهِ، وَلَا نُصِيبُكَ فِيهَا بِمَا يُلْحِقُ بِكَ الْحُزْنَ وَالْأَذَى، كما قال الله تعالى: **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾** (الضحى: ٥)، وهذا من عَظِيمِ الْبُشْرِيَّاتِ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ.

أخي الحبيب... لو تأملت العالم بعين البصيرة لرأيتته ممتلئاً بهذه الرحمة الواحدة كامتلاء البحر بمائه والجو بهوائه، وما في خلاله من ضد ذلك فهو مقتضى قوله: **"إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"** فالمسبوق لا بد لاحق وإن أبطأ، وفيه حكمة لا تتناقضها الرحمة، فهو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين.

٧- أحب ربي... لأنه ودود:

الله عز وجل ودودٌ، يودُّ ويحبُّ عباده الصالحين ويودُّونه، وهو صفة فعلية ثابتة بالكتاب العزيز.

قال تعالى حكاية عن قول شعيب -عليه السلام- لقومه: **﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾**

الودُّ والمودَّة: الحبُّ والمحبةُ، والودودُ: المحبُّ. (لسان العرب لابن منظور: ٤٧٩٣/٦). (هود: ٩٠)

قال أبو القاسم الزجاجي -رحمه الله-: "الودودُ: فيه قولان: أحدهما: أنه فعولٌ بمعنى فاعلٍ؛ كقولك: غفورٌ بمعنى غافرٍ، وكما قالوا: رجلٌ صبورٌ بمعنى صابرٍ، وشكورٌ بمعنى شاكِرٍ، فيكون الودودُ في صفاتِ الله تعالى عز وجل على هذا المذهب أنه يودُّ عباده الصالحين ويحبُّهم، والودُّ والمودَّةُ والمحبةُ في المعنى سواءً؛ فالله عز وجل ودودٌ لأوليائه والصالحين من عباده، وهو محبٌّ لهم. والقول الآخر: أنه فعولٌ بمعنى مفعولٍ، كما يقال: رجلٌ هيوبٌ، أي: مهيبٌ، فتقديره: أنه عز وجل مودودٌ، أي: يودُّه عباده ويحبُّونه، وهما وجهان جيدان". اهـ (اشتقاق أسماء الله ص: ١٥٢).

وقال ابن سيده -رحمه الله-: "الودودُ: المحبُّ الشديدُ المحبةَ". (المخصص: ٥/٢٢٦).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "الودودُ المتوددُ إلى عباده بنعمه، الذي يودُّ من تاب إليه وأقبل عليه، وهو الودودُ أيضاً، أي: المحبوبُ". وقال البخاري -رحمه الله- في صحيحه الودودُ: الحبيبُ.

والتحقيقُ: أن اللفظ يدلُّ على الأمرين؛ على كونه واداً لأوليائه، ومودوداً لهم؛ فأحدهما بالوضع، والآخر بالزوم؛ فهو الحبيبُ المحبُّ لأوليائه، يُحبُّهم ويحبُّونه". (التبيان في أقسام القرآن ص: ٥٩)

• فهو غفور لمن تاب إليه، ودودٌ يتودد إلى عباده وهو الغني عنهم.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (البروج: ١٤)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: "﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأتاب. ﴿الْوَدُودُ﴾ الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبتته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعاً لها، كانت عذاباً على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن الودود بالَغُفُور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأتابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود- كما قاله بعض الغالطين-، بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحاً بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح. فله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه ". اهـ

ولأنه ودود فخطوة واحدة منك تقترب بها إليه، يجازيك عنها خطوات، بل إذا أنتهت تمشي؛ فإنه يأتيك هرولة كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً .**

وقال ابن القيم-رحمه الله- في قصيدته "النونية":

أحبابُهُ والفضلُ للمَّانِ	وهوَ الودودُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ
قُلُوبِهِمْ وَجَارَاهُمْ بِحُبِّ تَانِ	وهوَ الَّذِي جَعَلَ المَحَبَّةَ فِي
مُعَاوَضَةً وَلَا لِتَوَقُّعِ الشُّكْرَانِ	هَذَا هُوَ الإِحْسَانُ حَقًّا لَا
لَا لِاحْتِيَاجٍ مِنْهُ لِلشُّكْرَانِ	لَكِنْ يُحِبُّ شُكُورَهُمْ وَشُكُورَهُمْ

٨- أحب ربي... لأنه سبحانه لطيف بنا:

اللطيف: واللفظ: رحمة خفية تشمل علم الله بمصالح العبد ومنافعه وإيصالها له في رفق.
فمن صور لطف الله بعباده:

- لطفه بالأجنة في بطون أمهاتها في ظلمات ثلاث، وإيصال الغذاء إليها وصرف الفضلات عنها.
- لطفه بعباده في تيسير العبادة عليهم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥). ولذا فرض الحج لمن استطاع إليه سبيلا، ورخص في قصر الصلاة والفطر في السفر، والصلاة قاعدا أو على جنبه لمن لا يقدر عليها.
- حماية الله للعبد مما يضره.

قال تعالى: ﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١١).

قال الحسن-رحمه الله-: "هم الملائكة يحمونه من كل سوء، فإذا حل القضاء خلوا عنه".

وقال مجاهد-رحمه الله-: ما من عبد إلا وله ملك موكل به، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه يريده إلا قال وراءك! إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه". (تفسير البغوي)

وقال السعدي-رحمه الله- عند تفسير الآية السابقة: ﴿لَهُ﴾ أي: للإنسان ﴿مَعْقَبَاتٌ﴾ من الملائكة يتعاقبون في الليل والنهار. ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: يحفظون بدنه وروحه من كل من يريده بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائما، فكما أن علم الله محيط به، فالله قد أرسل هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولا ينسى منها شيء".

- ويبصرك الفضيل بن عياض-رحمه الله- بلطف الله بك فيقول: "كم أراد عدو الإنسان أن يضره فيصرفه الله عنه وهو لا يشعر، ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْتَوْا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ

عَنْكُمْ﴾ (المائدة: ١١)

واللطف في أوصافه نوعان	وهو اللطيف بعبده ولعبده
واللطف عند مواقع الإحسان	إدراك أسرار الأمور بخيرة
والعبد في الغفلات عن ذا الشأن	فيريك عزته ويبيدي لطفه
صمدت إليه الخلق بالإذعان	وهو الإله السيد الصمد الذي
كماله ما فيه من نقصان	الكامل الأوصاف من كل الوجوه

• فمن صور لطف الله بعباده: أن من عليهم بنعمة الموت:

أتدري أخي الحبيب لو لم يخلق الله الموت ماذا كان سيحدث لو تكاثرت ذبابتان فحسب دون موت؟! كانت الأرض ستمتلئ ذباباً حتى تتكون طبقة من الذباب سمكها ٥ سم تغلف الكرة الأرضية خلال سنتين فقط!! (حقيقة علمية).

• ومن لطف الله بنا: ما نراه في هذه الظاهرة الباهرة التي تدل على كمال قدرة الله وعلمه.

أثبت العلم الحديث أن القمر يدور في فلك ومدار حدده له مدبر الكون كله، والشمس تدور في فلك ومدار حدده له مدبر الكون كله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

(الأنبياء: ٣٣)

يقول أهل العلم والفلك: لو نزل القمر من مداره الذي يدور فيه واقترب من الأرض قليلاً لاختلت حركة المد والجزر، المعروفة لأهل الطبيعة، فغرقت الأرض كلها بمن فيها. ولو أن الشمس تركت مدارها وارتفعت قليلاً إلى أعلى لتجمد كل حي على وجه الأرض، ولو أن الشمس تركت مدارها وانخفضت ونزلت قليلاً، إلى الأرض لاحترق كل حي على أرضها. سبحانك من إله لطيف بعبادك.

كل هذا صنع من؟ كل هذا خلق من؟ أله مع الله؟ لا إله إلا الله.

• فالله تعالى لطيف بعباده، وقد يخفى علينا الكثير منها ونحن لا نشعر.

ولذلك علمنا رسول الله ﷺ أن نقول في دعائنا: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ...**

(صحيح ابن ماجه: ٣١١٦) (صحيح الجامع: ١٢٧٦).

فالله وحده هو الذي يعلم ما يضرنا وما ينفعنا، وما يصلحنا وما يفسدنا، فلندع أمرنا إليه ولننتوسل إليه بهذا الدعاء الجامع ولنستسلم لاختياره لنا.

فيا أيها الغافل عن لطفه تعالى... كم مرة دعوته في شدة ألمت بك؛ فلما كشف شدتك نسيته، وكم مرة رجعت إليه مذنباً ليحقق مطلوبك، فلما أجابك هجرته، فما منعك هجرتك من صلته، وخطيئتك من إحسانه أتعرف لماذا؟ لأنه لطيف.

تبارك الله في عيائه عزته

لا كون يحصره لا عين تنتظره

حارت جميع الورى في كنه قدرته

سبحانه وتعالى في جلالته

فكلُّ لسانٍ عن تعاليه

لا كشف يظهره لا جهر يديه

فليس يدرك معنى من معانيه

وجلَّ عزاً ولطفاً في تساميه

٩- أحب ربي... لأنه سبحانه يعاملنا بفضله، ولم يعاملنا بعدله:

فلو عاملنا بعدله ما ترك على الأرض من دابة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (فاطر: ٤٥)

أي: لو أخذهم بجميع ذنوبهم، لأهلك جميع أهل الأرض، وما يملكونه من دواب وأرزاق. (تفسير ابن كثير) قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره عند الآية السابقة: "ذكر الله تعالى كمال حلمه، وشدة إمهاله وإنظاره لأرباب الجرائم والذنوب، فقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي: لاستوعبت العقوبة، حتى الحيوانات غير المكلفة. ﴿وَلَكِنْ﴾ يمهلم تعالى ولا يمهلمهم و﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم بحسب ما علمه منهم، من خير وشر". اهـ

كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ- إِذَا شَرِبَ الْمَاءَ يَقُولُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَقَانَا عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أَجَاًا بِذُنُوبِنَا". (أخرجه ابن أبي الدنيا عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شُبْرَمَةَ)

فوالله لو أخذنا الله بما جنت أيدينا لعذبنا وما كان لنا ظالمًا.

قال أبو العز الحنفي-رحمه الله:-

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ كَلَّا وَلَا سَعْيٍ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إِنْ عَذَّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نَعَمُوا فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ

وأخرج ابن ماجه واللفظ له وأبو داود وأحمد عن زيد بن ثابت ؓ قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ". (الصحيحة: ٣٣٧) (صحيح الجامع: ٥٢٤٤).

والمعنى العام للحديث: قوله ﷺ: "لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ"، أي: لِنَفْتَرِضَ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ عَاجِزُونَ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ حَقَّ الْعِبَادَةِ، فَعَذَابُهُ عَدْلٌ، وَثَوَابُهُ فَضْلٌ. "وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ"، أي: إِنَّ رَحْمَتَهُ لِعِبَادِهِ إِنَّمَا هِيَ مَحْضٌ فَضْلٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهِيَ خَيْرٌ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا، بَلْ هَذِهِ الْأَعْمَالُ مِنْ جُمْلَةِ رَحْمَتِهِ بِهِمْ. (الدرر السنية)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، فَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا...". - وفي رواية: "قَارِبُوا وَسَدَّدُوا، وَأَبْشَرُوا، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ". (صحيح الجامع: ٤٢٩٧)

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " **سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَعَلِّمُوا أَنَّهُ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَأَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ** ".

وقوله ﷺ: " **واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة** " يعني أن الطاعات التي تقومون بها، ليست عوضاً وثمناً للجنة، ولا تساويها، فالجنة سلعة غالية لا يكافئها عمل، وإنما تدخلونها برحمة الله، ولا تعارض بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (النحل: ٣٢)؛ فقد قال ابن تيمية -رحمه الله-:

" فإن المنفي نفي بقاء المقابلة والمعاوضة، كما يقال: بعت هذا بهذا، وما أثبت أثبت بقاء السبب، فالعمل لا يقابل الجزاء وإن كان سبباً للجزاء؛ ولهذا من ظن أنه قام بما يجب عليه وأنه لا يحتاج إلى مغفرة الرب تعالى وعفوه، فهو ضال ". اهـ

أي كرم وأي إحسان أعظم من كرم الله وإحسانه، حيث يبارزه الناس بالمعاصي وينسبون له الولد والزوجة، وربما يسبوه ويسبون دينه، ومع ذلك يعاملهم الله بجميل أطافه، وسعة رحمته، فلا يعجل لهم العقوبة، ويكلوهم ويرزقهم. وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " **لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل، إنه يشرك به، ويجعل له الولد، ثم هو يعافهم ويرزقهم** ".

- وفي رواية: " **ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله؛ إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليُعافهم ويرزقهم!** " فهو سبحانه يسمع كلام من ينسبون له الولد كذباً وزوراً، كالتصاري واليهود، كما قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا** ﴾ (سورة مريم: ٨٨ - ٩٢)، ومع سماعه وعلمه وقدرته، إلا أنه يصبر عليهم، بل يعافهم في أبدانهم وحياتهم، ويرزقهم من فضله ونعمه في الدنيا، ويؤخر عقوبة من لم يتب منهم إلى الآخرة!.

فالعباد يبارزون الله بالعظائم والكبائر وهو سبحانه يكلوهم ويرزقهم، فلا يمنع عطاءه عنهم، فخيرهم إليهم نازل، وشرهم إليه صاعد، يتحجب الله إليهم بنعمه وهو الغني عنهم، وهم يبارزونه بالمعاصي وهم أحوج شيء إليه، وهو سبحانه يخلق ويعبد غيره، ويرزق ويشكر سواه.

ولأنه كريم فلا يمنعه إعراض المعرضين ولا كثرة المذنبين وإصرار المعاندين من أن يستمر في نزوله كل يوم إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فينادي الجموع الغافلة والأكفان الناعسة بلطف قوله

وحلو ندائه فيقول سبحانه: **مَنْ يَدْعُونِي، فَاسْتَجِيبْ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ؟**

(أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ)

سبحانك من إله عظيم كريم، إله هذا حاله لا يحب؟ ألم يمتلئ قلبك إلى الآن حباً لله وشوقاً إليه؟

١٠- ويبقى السؤال، لماذا أحب ربي؟ أحب ربي... لأنه كريم:

والكريم: اسم جامع للمحاسن والمحامد. قال تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار: ٦)

وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (سورة العلق: ٣)

والأكرم: صيغة تفضيل، فدل على أنه الأكرم وحده، لا يدانيه أحدٌ في هذه الصفة، فهو أكرم الأكرمين سبحانه وتعالى، وأنه كثير الإحسان، واسع الجود، يعطي عبده دون أن يسأله، ويعطي من غير حساب ولا منة، عطاياه لا تتقطع، خزائنه لا تنتفد، وهو القائل في الحديث القدسي: **يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَهُ؛ ما نقصَ ذلكَ ممَّا عندي إلَّا كما ينقصُ المخيطُ إذا أُدخلَ البحرَ...".** (أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ؓ)

فسبحانك من خالق عظيم كريم، الكرم صفة من صفاته، والجود من أعظم سماته، والعطاء من أجلِّ هباته، فمن أعظم منه جودًا وكرمًا؟ من ذا الذي دعاه فلم يستجب له؟ من ذا الذي سأله فلم يعطيه؟ من الذي أناخ ببابه فطرده عن جنباه؟ فهو ذو الفضل، ومنه الفضل، وهو الجواد، ومنه الجود، وهو الكريم سبحانه وتعالى ومنه الكرم.

فهيا أنا وأنت نسبح في بحر جوده، ونعترف من كرمه سبحانه، وتبدأ الرحلة وأنت جنين في بطن أمك، فالله عز وجل يحوطك بعنايته، ويرزقك من نعمه.

يقول ابن القيم-رحمه الله- في "كتاب الفوائد": "تأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه من طريق واحدة وهو السرة (الحبل السري)، فلما خرج من بطن الأم، وانقطعت تلك الطريق، فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول، لبنًا خالصًا سائغًا. فإذا تمت مدة الرضاع، وانقطع الطريقان بالفطام، فتح طرقًا أربع أكمل منها: طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يُضاف إليهما من المنافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربعة. لكنه سبحانه فتح له -إن كان سعيدًا- طرقًا ثمانية، وهي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء". اهـ

فالله سبحانه وتعالى لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجته من هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه، وليسلك الطريق الموصلة إليه.

ومن كرمه سبحانه وتعالى أنه أعطاك من غير أن تطلب، فَمَنَّ عليك بنعمة الإسلام، وأخرجك من بطن أمك مسلمًا، دون أن ترفع أكف الضراعة وأنت في بطن أمك لتطلب هذا.

وبعد خروجك إلى الدنيا سخر لك كل ما في السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجن: ١٣)

ومن كرمه سبحانه وتعالى عليك أنه يرفع القلم عنك حتى تبلغ:

كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه وأحمد من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْغَلَ".

فاذا بلغت وجرى عليك القلم وبدأ التعامل بالحسنات والسيئات فإنه سبحانه يمن عليك بكرمه ويجعل لك الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بمثلها ويغفر.

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٠)

وأخرج البخاري من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ (١) فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً (٢)، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "فِيمَا يَرَوِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمَلَهَا فَانْكُتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَانْكُتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَانْكُتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمَلَهَا فَانْكُتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ".

والأمثلة على مضاعفة الحسنه بعشر أمثالها كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال:

١- ما أخرجه أبو داود واللفظ له وأحمد من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ، رَجُلٌ حَضَرَهَا يَلْغُو وَهُوَ حَظُّهُ مِنْهَا، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَدْعُو، فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنصَاتٍ وَسُكُوتٍ، وَلَمْ يَتَخَطَّ رِقْبَةً مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُوذِ أَحَدًا فَهِيَ كَفَّارَةٌ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، وَزِيَادَةٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾". (صحيح أبي داود: ١١١٣)

١- هَمَّ بِحَسَنَةٍ: أَرَادَهَا وَتَرَجَّحَ فَعَمَلَهَا عِنْدَهُ.

٢- كَامِلَةً: وَصَفَ حَسَنَةً، وَذَكَرَهَا لِنَلَا يَظُنُّ أَنَّهَا لَكُونَتْ مُجَرَّدٌ هَمٌّ بِنَقْصِ ثَوَابِهَا.

أي: فتكون صلاة الجمعة كفارةً لذنوبه التي يعملها طوال عشرة أيام تالية؛ وهي الأسبوع التالي وزيادة ثلاثة؛ لأنَّ اليومَ بعشرة أيام، والحسنة عند الله بعشر أمثالها.

أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد من حديث أبي نر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ صَامَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا الْيَوْمَ بِعَشْرَةِ أَيَّامٍ ". (صحيح الترمذي: ٧٦٢)

وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَوَاوٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ ". (صحيح الترمذي: ٢٩١٠)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ ".

وهذا من عظيم فضل الله على عباده المسلمين بمضاعفة الأجر لهم. ويُفسرُ هذا قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، فشهر رمضان بمنزلة عشرة أشهر، وصيام ستة أيام من شوال بستين يوم، أي بشهرين، وبهذا يكون تمام السنة.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والنسائي في "الكبرى" وابن ماجه من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من صام رمضان، فشهر بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بعد الفطر، فذلك تمام صيام السنة ".

أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " فَرَضْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ الصَّلَاةَ خَمْسِينَ، ثُمَّ نَقَصْتُ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسًا، ثُمَّ نُودِيَ: يَا مُحَمَّدُ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهَذِهِ الْخَمْسِ خَمْسِينَ ".

وعند البخاري بلفظ: "... فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ، وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ...".

ومن كرمه سبحانه وتعالى أنه شرع لنا أعمالاً هي قليلة في الجهد، لكنها عظيمة الأجر:

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراً، فقال: مَنْ يعمل لي عُدوةً إلى نصف النهار على قيراط^(١)؟ فعملت اليهود، ثم قال: مَنْ يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: مَنْ يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم؛ فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل أجراً؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أوتيته من أشاء."

ومن هذه الأعمال:

الوضوء:

أخرج الإمام مسلم من حديث عثمان بن عفان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ."

أخرج الإمام مسلم من حديث عثمان بن عفان ؓ قال: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشِيئُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً"

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بِطَشْتِهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ."

أخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا تَوَضَّأَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ؛ خَرَجَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ سَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَيَدَيْهِ، وَرِجْلَيْهِ، فَإِنْ قَعَدَ قَعْدَ مَغْفُورًا لَهُ." (صحيح الجامع: ٤٤٨)

الدعاء بعد الوضوء:

أخرج الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب ؓ قال: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَفْرَغُ مِنْ وَضُوئِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - زاد الترمذي^(٢): "اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ."

١- القيراط: النصب.

٢- ورواية الترمذي بتمامها " من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فَتَحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ." (صحيح الجامع: ٦١٦٧).

صلاة ركعتين بعد الوضوء:

أخرج البخاري من حديث حُمَرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه: "أَنَّه رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِوَضُوءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ، فَعَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْوَضُوءِ، ثُمَّ تَمَضَّضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْشَرَّ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، وَقَالَ: مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

وأخرج الإمام مسلم والنسائي من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوَضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ". (صحيح النسائي: ١٥١)

السعي إلى المسجد:

أخرج أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لَا يَنْصِبُهُ إِلَّا إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَصَلَاةٌ عَلَى أَثَرِ صَلَاةٍ لَا لَعْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ". (صحيح الجامع: ٦٥٥٦)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: "صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَضَعُفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسَةٌ وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوَضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ: لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا زَفَعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ".

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خَطْوَاتُهَا إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً".

بل انظر إلى ثواب السعي ليوم الجمعة:

أخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن أَوْسِ بْنِ أَوْسِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَنْ غَسَلَ^(١) يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَرَ وَابْتَكَّرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةِ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٩٠)

١- مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: غَسَلَ يُرْوَى (غَسَلَ) بِتَخْفِيفِ السَّيْنِ وَ(غَسَلَ) بِتَشْدِيدِهَا، وَمَعْنَاهُ غَسَلَ رَأْسَهُ خَاصَّةً أَوْ غَسَلَ أَعْضَاءَهُ لِلْوَضُوءِ، "وَاغْتَسَلَ"، أَي: غَسَلَ جَمِيعَ جَسَدِهِ وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الرَّأْسِ أَيْضًا، وَخُصَّ الرَّأْسُ بِالْغَسْلِ مِنْ أَجْلِ الشَّعْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى تَنْظِيفٍ وَعُنَايَةٍ؛ لِيُزَوَّلَ مَا فِيهِ مِنْ رَوَانِحٍ كَرِيهَةٍ وَغَيْرِهَا. وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَى (غَسَلَ) أَصَابَ أَهْلَهُ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الْجُمُعَةِ؛ لِيَكُونَ أَمْلَكَ لِنَفْسِهِ وَأَحْفَظَ فِي طَرِيقِهِ لِبَصَرِهِ؛ فَكَانَتْ غَسَلَ امْرَأَتَهُ أَوْ غَسَلَهَا، أَي: أَحْوَجَهَا إِلَى الْغَسْلِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ (غَسَلَ وَاغْتَسَلَ) التَّوَكُّيدَ وَلَمْ تَقَعْ الْمَخَالَفَةُ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ.

وأخرج الترمذي عن يزيد بن أبي مريم قال: بينما أنا رائج إلى الجمعة إذ لحقتني عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج الأنصاري، وهو راكب وأنا ماش، فقال: احتسب خطاك هذه في سبيل الله، فإني سمعت أبا عبس بن جبر الأنصاري يقول: قال رسول الله ﷺ: "من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار". (وأصل الحديث في البخاري)

بل انظر لثواب من يأتي إلى يوم الجمعة مبكراً:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى، فَكَانَ قَرَبَ بَدَنَةٍ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَانَ قَرَبَ بَقْرَةٍ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ، فَكَانَ قَرَبَ كَنْبَشَا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَانَ قَرَبَ دَجَاجَةٍ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَانَ قَرَبَ بَيْضَةٍ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ".

فضل الصلاة في جماعة:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة".

• صلاة الجماعة سبب لمغفرة الذنوب:

-أخرج ابن خزيمة عن عثمان بن عفان ؓ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، فَصَلَّاهَا مَعَ الْإِمَامِ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٠)

-وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره^(١)، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط^(٢)، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط".

بل انظر إلى فضل التأمين خلف الإمام لتعلم مدى كرم الله، فهذا التأمين وبهذه الكلمة يُغْفَرُ لك ما تقدّم من ذنبك..... فسبحانك من إله عظيم كريم.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة^(٣)، غفر الله ما تقدم من ذنبه".

• صلاة الجماعة سبيل لدخول الجنة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح".

١ - المكاره: جمع مكروه: ويقصد به هنا المشقة.

٢ - الرباط: أصل الرباط: الحبس على الشيء، كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة.

٣ - موافقة التأمين: قيل في معناها يعني: الموافقة في الإجابة، وقيل الموافقة في الصفة من إخلاص الدعاء، والله أعلم.

• بل انظر إلى فضل الأذكار بعد الصلاة، وكيف أن الله بكرمه يغفر بها ما تقدم من الذنوب:
أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَسِتُّعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِئَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ .**"

• بل انظر إلى فضل قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة:
أخرج النسائي في " السنن الكبرى " والطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ، إِلَّا الْمَوْتُ** " .
• بل انظر إلى فضل صلاة الجنابة والذهاب لتشييعها:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ .**"

أخرج الإمام أحمد والطبراني في " الأوسط " من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ قَعَدَ حَتَّى يُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مِثْلُ قَرَارِيطِنَا هَذِهِ^(١)؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِثْلُ أَحَدٍ أَوْ أُعْظَمُ مِنْ أَحَدٍ^(٢) .**" (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٥٠٢)

ثواب الصدقة:

المتصدق بصدقة من كسب طيب يقبلها الله ويرببها له حتى تكون يوم القيامة مثل الجبل:
ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ^(٣) مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّبُهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهَ^(٤) حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ .**"

والأحاديث كثيرة في فضل الصدقة ولا يتسع المقام لذكرها^(٥).

١- مثل قَرَارِيطِنَا هَذِهِ؟ والمراد به عندهم: نَوْعٌ مِنَ النَّقْدِ، قِيلَ هُوَ جُزْءٌ مِنَ الدَّرْهَمِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ أَجْزَاءِ الدِّيْنَارِ، وَهُوَ نِصْفُ عَشْرِهِ فِي أَكْثَرِ الْبِلَادِ، وَأَهْلُ الشَّامِ يَجْعَلُونَهُ جُزْءًا مِنْ أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ جُزْءًا.

٢- " لا بل مثل أحد - أو أعظم من أحد - أي إن القيراط عند الله يومئذ بمثل حجم جبل أحد أو أعظم منه، وهو جبل على مشارف المدينة، والحكمة في تمثيله ﷺ بجبل أحد دون غيره من الجبال أنه جبل عظيم كبير، وكون المخاطبين يعرفونه. وجبل أحد يبلغ طوله: ٧ كم، والعرض: ٢-٣ كم، والارتفاع يصل إلى ٣٥٠ م.

٣- بعْدِلِ تَمْرَةٍ: أي قيمتها، فإذا فتحت العين: يعني المثل، وبكسر العين: يعني الحمل، وهذا قول الجمهور، وقال الفراء: بالفتح المثل من غير جنسه، وبالكسر من جنسه، وقيل: بالفتح مثله في القيمة، وبالكسر في النظر. (انظر فتح الباري: ٣/٢٧٩)

وقال ابن الأثير- رحمه الله - في " النهاية ٣/١٩١": العَدْلُ والعَدْلُ بالكسر والفتح في الحديث: وهما بمعنى المثل، وقيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل بالعكس ". اهـ

٤- فَلَوْهَ: بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، وهو المهر كما جاء مفسراً في رواية الترمذي. وسمي بذلك لأنه يُقْلَى: أي يقطع، وقيل: هو كل فطيم من ذوات حافر: أي من أولاد ذوات الحافر (انظر النهاية في غريب الحديث: ٤/٣٠٤) (شرح النووي: ٧/١٠٤)

٥- هناك رسالة للمؤلف في فضل الزكاة المفروضة وصدقة التطوع، ضمن سلسلة: " الكتاب الجامع للفضائل ". فارجع إليها فضلاً لا أمراً.

ثواب صيام الفرض:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﻋﻠﻴﻚ: " كل عمل ابن آدم له ^(١) إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به ."

- وفي رواية لمسلم: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ لَهُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ ﻋﻠﻴﻚ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ."

ثواب صيام النفل:

- أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: " ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً ."

- وأخرج النسائي من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ . " (صحيح الجامع: ٦٣٣٠)

وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ^(٢) ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٩٩١) (صحيح الجامع: ٦٣٣٣)

والله تعالى يقول: ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران: ١٨٥)

فالإنسان منا يستطيع أن يزحزح نفسه عن النار سبعين سنة، أو مائة سنة، أو خمسمائة سنة، وذلك بصيام يوم واحد فقط نافلة؟ فإذا كان هذا في فضل ثواب صيام النفل، فما القول في ثواب صيام الفرض؟ ناهيك عن صيام يوم عرفة، وصيام يوم عاشوراء:

فصيام يوم عاشوراء؛ يُكْفِّرُ اللهُ به سنة قبله، وصيام يوم عرفة يُكْفِّرُ اللهُ به سنة قبله وسنة بعده.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، إِنِّي أُحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ ^(٣) وَالتِّي بَعْدَهُ ^(٤)، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، إِنِّي أُحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ ."

ذكر المناوي - رحمه الله - في "فتح القدير: ٢٣/٤": قول الطيبي - رحمه الله - حيث قال: وكان القياس: " أن يقول: أرجو من الله، فوضع محله "أحتسب" وعدّاه ب (على) التي للوجوب على سبيل الوعد؛ مبالغة في تحقيق حصوله ". اهـ بتصريف واختصار.

١- كل عمل ابن آدم له: أي له أجر محدد إلا الصوم فأجره بدون حساب، ويشهد لهذا المعنى رواية مسلم "كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم...".

٢- والمسافة بين السماء والأرض خمسمائة عام.

٣- يكفر السنة الماضية التي قبله: يعني الصفات المكتسبة فيها

٤- والسنة التي بعده: بمعنى أنه تعالى يحفظه أن يُذنب فيها، أو يعطي من الثواب ما يكون كفارة لذنوبها، أو يكفرها حقيقة ولو وقع فيها، ويكون المكفر مقدماً على المكفر.

ثواب الحج:

- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من حج فلم يرفث^(١)، ولم يفسق^(٢)، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ".

- وعند مسلم بلفظ: " من أتى البيت فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه ".

- قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في "الفتح: ٣/٢٠٣": " وهذا اللفظ يشمل الحج والعمرة ".

• ولم يرض الله لفُصَاد بيته ثوابًا دون الجنة:

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما^(٣)، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ".

- فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير^(٤) خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة ". (الصحيحة: ١٢٠٠) (صحيح الجامع: ٢٩٠١)

قال المناوي-رحمه الله- كما في "فتح القدير: ٣/٤٠٦": " لا يقتصر الحج لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه فقط، بل لا بد أن يدخله مع السابقين، أو يدخله الجنة بغير حساب، وإلا فكل مؤمن يدخلها وإن لم يحج ". اهـ بتصريف

• فضل الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم:

- أخرج الإمام مسلم من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صلاة في مسجدي هذا أفضل من صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ".

• فضل الصلاة في المسجد الحرام:

- أخرج الإمام أحمد من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه ".

(صحيح الجامع: ٣٨٣٨)

١- الرفث: يطلق ويراد به الجماع، ويطلق ويراد به الفحش من القول، ويطلق ويراد به خطاب الرجل للمرأة فيما يتعلق بالجماع، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يخصه بما خوطب به النساء.

وقال الأزهري -رحمه الله-: " الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة ". (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: ٢٤١/٢) وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فلا رفت﴾: أي من أحرم بالحج أو العمرة فليجتنب الرفث، وهو الجماع، كما قال تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ (البقرة: ١٨٧) وكذلك يحرم تعاطي دواعيه: من المباشرة، والتقبيل، ونحو ذلك، وكذلك التكلم به بحضور النساء (تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٤٢).

٢- ولم يفسق: أصل الفسوق الخروج عن الاستقامة، والجور، وبه سمي العاصي فاسقًا. (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ٤٤٦/٣) ولا شك أن الفسوق: هو جميع المعاصي كما قال الله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفت ولا فسوق﴾ (البقرة: ١٩٧) فيدخل في الفسوق جميع المعاصي كما صوبه الإمام ابن كثير في تفسيره، ٢/٤٤٤، ومن ذلك الوقوع في محظورات الإحرام، والسباب، والشتم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر " (أخرجه

البخاري ومسلم) وغير ذلك من أنواع المعاصي.

٣- كفارة لما بينهما: أي لما يقع بينهما من الذنوب.

٤- الكير: زق ينفخ فيه الحداد، والمبني من الطين يُسمى كور.

• ومن كرم أكرم الأكرمين سبحانه أنه شرع لمن عجز عن الحج - سواءً كان لمرض أو لضيق اليد أو غير ذلك - أعمالاً تعدل في الأجر؛ أجر الحج:

فيامن تحترق قلوبهم شوقاً إلى بيت الله الحرام، وتذرف دموعهم كلما جاء موعد الحج، فتراهم لا يهنؤوا بطعام، ولا يغمضوا بمنام. قد تعلقت قلوبهم ببيت محبوبهم، وكلما ذُكِرَ لهم ذلك البيت حَنُّوا، وكلما تذكروا بعدهم عنه أُنُّوا، وقد علم الله هذا من حالهم فمنَّ عليهم بأعمال تتلج صدورهم، وتطفئ نار الشوق والحنين إلى زيارة بيته الحرام، فشرع لهم من الأعمال ما يعطيهم به أجر الحُجَّاجِ والعُمَّارِ، وهذه الأعمال كالماء البارد على الظمأ، وهي البلسم الشافي والدواء الكافي، التي تروي غليل القلوب المشتعلة؛ شوقاً لرؤية البيت العتيق ومسجد الحبيب ﷺ. واليك طرفاً من هذه الأعمال:

١ - أداء الصلاة المكتوبة في المسجد:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " من مشى إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة، ومن مشى إلى صلاة تطوع ^(١) فهي كعمرة نافلة ". (صحيح الجامع: ٦٥٥٦)

٢- حضور مجالس العلم في المسجد:

- **فقد أخرج الطبراني والحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه، كان كأجر حاج تاماً حجته ".**

٣- الجلوس بعد الفجر في المُصَلِّي، وذكر الله - تعالى - حتى طلوع الشمس ثم تصلي ركعتين:

- **فقد أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكرُ الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين؛ كانت له كأجر حَجَّةٍ وعمرَةٍ، تامة، تامة، تامة ". (الصحيحة: ٣٤٠٣) (صحيح الجامع: ٦٣٤٦)**

فإذا جلست عن هذا العمل الجليل (الحج) وذلك لعذر فهاك الأجر، فلا يفتك الأجر إذا كنت صادق النية.

٤ - صلاة العشاء في جماعة:

- **أخرج الإمام مسلم من حديث أبي نر رضي الله عنه: " أن أناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يُصلُّون كما نُصَلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال النبي ﷺ: " أو ليس قد جعل الله لكم صلاة العشاء في جماعة تعدل حجة، وصلاة الغداة في جماعة تعدل عمرة ".**

١ - والمقصود بصلاة التطوع في الحديث: هي صلاة الضحى، ودليل ذلك ما رواه أبو داود من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة؛ فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه؛ فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين ". (صحيح الجامع: ١٢٢٨) والمقصود بتسبيح الضحى في الحديث هي صلاة الضحى، وكل صلاة يتطوع بها فهي تسبيح وسبحة. وقوله " لا ينصبه ": أي لا يتعبه ولا يزعجه ذلك.

٥- الأذكار بعد الصلاة:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: " أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يُصلُّون كما نُصَلِّي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال: يحجون ويعتَمرون ويجاهدون ويتصدقون، فقال صلى الله عليه وسلم: ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ".
قال أبو صالح الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه: " لما سُئِلَ عن كيفية ذكرهن، قال: يقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثاً وثلاثون".

٦- عمرة في رمضان:

فإن عجزت عن الذهاب إلى الحج لقلّة النفقة فاجتهد أن تعتمر في رمضان فإن هذا فيه ما فيه من الأجر فهو يعدل كحجة مع النبي صلى الله عليه وسلم.
فقد أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " عمرة في رمضان تعدل حجة ".
- وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لامرأة من الأنصار يُقال لها أم سنان: " ما منعك أن تكوني حججت معنا؟ قالت: ناضحان ^(١) كانا لأبي فلان- زوجها- حج هو وابنه على أحدهما، وكان الآخر يسقي عليه غلامنا، قال: فعمره في رمضان تقضي حجة - أو حجة معي-".
- وفي رواية عند سمويه عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " عمرة في رمضان كحجة معي ".

(صحيح الجامع: ٤٠٩٨)

٧- بر الوالدين:

أخرج أبو يعلى أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " إنني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه، قال: هل بقي من والدَيْك أحدٌ؟ قال: أمي. قال: فأسأل الله في برّها، فإذا فعلت فأنت حاجٌّ مُعْتَمِرٌ ".
فلا عجب ولا غرور في ذلك، فأمتنا أمة مرحومة كتب الله عليها أعمالاً هي صغيرة في العمل، ولكنها كبيرة في الأجر.

فضل وثواب الذكر:

أخرج الإمام مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: **كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَيَعِزُّكُمْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟" فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: "يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ".**

وأخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَتَسَاقِطَ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقِطُ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ".** (صحيح الجامع: ١٦٠١)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ".**

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وأبو داود من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ...".** الحديث (صحيح الجامع: ٦٠٨٦)

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ".**

وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامُ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ^(١) وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ".** (صحيح الجامع: ٥١٥٢) (الصحيحة: ١٠٥)

وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ".** (صحيح الجامع: ٦٤٢٩)

أخرج الطبراني من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ: "مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً".**

وفضائل الذكر كثيرة، ولا يمكن إحصائها في هذا المقام^(٢).

١- قيعان: بكسر القاف، جمع قاع، وهي الأرض المستوية الخالية من الشجر (قاله صاحب تحفة الأحوذى)، وقال ابن الأثير: القاع: المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء ليمسكه ويستوي نباته. (النهاية في غريب الحديث: ١٣٢/٤)
٢- هناك رسالة للمؤلف في فضل الذكر، ضمن سلسلة: "الكتاب الجامع للفضائل". فارجع إليها فضلاً لا أمراً.

فضل وثواب مجالس العلم:

وفي مسند الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما جلس قومٌ يذكرون الله تعالى إلا ناداهم مُنادٍ من السماء: قُوموا مغفورًا لكم ". (صحيح الجامع: ٥٦٠٩)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من قومٍ اجتمعوا يذكرون الله عزَّ وجلَّ لا يُريدونَ بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مُنادٍ من السماء أن قوموا مغفورًا لكم قد بُدلت سيئاتكم حسناتٍ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٠٤)

بل بلغ من كرم الله وعظيم فضله أن العبد إذا مرض أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً:

قال تعالى: ﴿إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (الانشقاق: ٢٥)

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي غير مقطوع بل متواصل، فالعبد المؤمن إذا مرض وحيل بينه وبين العمل الصالح فإن الله تعالى يجري عليه ما كان يعمل صحيحاً.

- فقد أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا مَرَضَ العبد أو سافر كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً ".

- وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من أحدٍ من الناس يُصابُ ببلاءٍ في جسده، إلا أمر الله تعالى الملائكة الذين يحفظونه فقال: اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٤٢١)

- وفي رواية: " ما من مسلم يُصابُ في جسده، إلا أمر الله تعالى الحفظة: اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة من الخير ما كان يعمل، ما دام محبوباً في وثاقي ". (صحيح الجامع: ٥٧٦١)

بل بلغ من كرم الله وعظيم فضله أن العبد إذا عجز عن الأمر وهو صادق النية في فعله، فإن الله تعالى يعطيه أجر ما أراد:

والأدلة على ذلك كثيرة، ونذكر منها على سبيل المثال:

رجال من الصحابة قد تخلفوا لعذر في غزوة تبوك لم يكن عندهم زاد ولا راحلة حبسهم العذر، ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه، وبكوا بكاء الرجال شوقاً إلى الغزو فعلم الله نياتهم، فشاركوا الغزاة في الأجر. قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا

يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢)

وقد جاء في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في شأن هؤلاء الرجال الذين تخلفوا " إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم^(١)، قالوا يا رسول الله: وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حبسهم العذر "

- وفي رواية أخرى عند البخاري " إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم فيه وهم بالمدينة، حبسهم العذر."

فإنه عز وجل الكريم المنان المطلع على خبايا النفوس، يعطي من حبسه العذر عن الجهاد في سبيل الله أجر المجاهد الذي ذهب إلى أرض المعركة.

وأخرج الإمام مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه "

• فمن رحمة الله صلى الله عليه وسلم على عباده أنه سبحانه جعل من نوى فعل شيء ثم حيل بينه وبين فعله لعذر، يُكتب له أجر وثواب هذا الفعل؛ وإن لم يعمل.

ودليل ذلك ما أخرجه النسائي وابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عيناه حتى أصبح^(٢)، كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢١)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلمًا فهو يتقى في ماله ربه، ويصلي فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأحسن المنازل عند الله، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤت مالا فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته وهما في الأجر سواء.... ". (صحيح سنن الترمذي) (صحيح الجامع: ٣٠٢٤)

يقول ابن كثير-رحمه الله- في " تفسيره: ٣٦١/٢: " فإذا صدقت النيات من العباد وحالت دون القيام بالعمل المراد الحوائل، فإن صاحب النية يعد في عداد العاملين ". اهـ

وما أحسن قول القائل:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد
سرتهم جسومًا وسرنا نحن أرواحًا
إنا أقمنا على عذر وعن قدرٍ
ومن أقام على عذر فقد راحا

١- إلا كانوا معكم: أي إلا وهم معكم فيه بالنية. " قاله الحافظ ابن حجر في " الفتح: ٤٧٦ "

٢- أي نام وهو عازم على قيام الليل، فلم يقم تلك الليلة من غير تفريط منه، ولكن النوم غلب عليه، فلم يقم.. انظر النية للدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين.

ومن كرمه سبحانه وتعالى: أن جعل لنا مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات، ويرفع فيها الدرجات، ويغفر فيها كثير من الذنوب والمعاصي والزلات.

وقد أخرج الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة، لا يشقى بعدها أبدًا ". (الصحيحة: ١٩٨٠) - وفي رواية: " افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن الله نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، وأن يؤمن روعاتكم ". (أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث أنس رضي الله عنه)

• ومن هذه المواسم: ليلة النصف من شعبان:

فمن هذه النفحات الربانية على الأمة المحمدية؛ ليلة النصف من شعبان. وما أعظمها من ليلة!! فقد أخرج ابن حبان والبيهقي في " شعب الإيمان " والطبراني في " المعجم الكبير والأوسط"، وابن أبي عاصم في " كتاب السنة " عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يطلع الله تبارك وتعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان؛ فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن ^(١) ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٢٦) (السلسلة الصحيحة: ١١٤٤)

ومن هذه المواسم: شهر رمضان:

فهو شهر... تتهمر فيه الرحمات من رب البريات.
شهر... مبارك كريم وموسم رابح عظيم وشهر تتضاعف فيه الحسنات.
شهر... أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.
شهر... من صامه إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه.
شهر... من قامه إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه.
شهر... فيه ليلة خير من ألف شهر من قامها إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه.
شهر... تفتح فيه أبواب الجنان فلا يغلق منها باب.
شهر... تغلق فيه أبواب النيران فلا يفتح منها باب.
شهر... تُصَفد فيه الشياطين ومردة الجن.
شهر... من أتى فيه بعمره كان كمن حج.
شهر... من فطر فيه صائمًا كان له مثل أجره.
شهر... لله فيه عتقاء من النار وذلك كل يوم ليلة ^(٢).

١ - قال الألباني - رحمه الله - كما في السلسلة الصحيحة جـ ٣ تعليقًا على هذا الحديث: " وجملته القول: إن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، والصحة تثبت بأقل منها عددًا، ما دامت سالمة من الضعف الشديد كما هو الشأن في هذا الحديث، فما نقله الشيخ القاسمي - رحمه الله - في إصلاح المساجد ص ١٠٧ عن أهل التعديل والتجريح: " أنه ليس في فضل ليلة النصف من شعبان حديث لا يصح، فليس مما ينبغي الاعتماد عليه، ولئن كان أحد منهم أطلق مثل هذا القول، فإنا من أوتي من قبل التسرع، وعدم وسع الجهد؛ لتتبع الطرق على هذا النحو الذي بين يديك والله تعالى هو الموفق. اهـ. - والمشاحن: هو المخاصم لأخيه المسلم أو مهاجر له.

٢ - كما جاء في الحديث: " إنَّ لله تبارك وتعالى عتقاء في كلِّ يومٍ وليلةٍ (يعني في رمضان). وإنَّ لكلِّ مسلمٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ دعوةٌ مُستجابةٌ ". (رواه أحمد وهو في صحيح الترغيب: ١٠٠٢)

وغير ذلك من الجوائز والمنح الربانية، والتي وهبها رب البرية للأمة المحمدية، فهنيئاً لمن تعرّض لهذه النفحات، وخرج من رمضان وقد غُفر له جميع السيئات^(١).

ومن هذه المواسم: العشر الأوائل من ذي الحجة:

أخرج البخاري من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر. قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء ".

ومن هذه المواسم: يوم عرفة، ويوم عاشوراء (كما مر بنا)

وبلغ من كرمه سبحانه وتعالى أنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه:

عن أبي قتادة وأبي الدهماء قالوا: أتينا على رجل من أهل البادية فقلنا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً؟ قال: نعم، سمعته يقول: **إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ، مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ .**

(صححه الألباني في السلسلة الصحيحة)

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ-رَحِمَهُ اللَّهُ-: " مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ شَيْئاً إِلَّا عَوَّضَهُمْ خَيْرًا مِنْهُ؛ كَمَا حَرَّمَ الْإِسْتِقْسَامَ بِالْأَزْلَامِ؛ وَعَوَّضَهُمْ عَنْهُ دُعَاءَ الْإِسْتِخَارَةِ، وَحَرَّمَ الرِّبَا؛ وَعَوَّضَهُمْ عَنْهُ التَّجَارَةَ الرَّابِحَةَ، وَحَرَّمَ الْقِمَارَ؛ وَعَوَّضَهُمْ عَنْهُ الْمُسَابَقَةَ النَّافِعَةَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْحَرِيرَ؛ وَعَوَّضَهُمْ عَنْهُ أَنْوَاعَ الْمَلَابِسِ الْفَاحِشَةِ، وَحَرَّمَ الزُّنَا وَاللُّوَاطِ؛ وَأَعَاذَهُمْ عَنْهَا بِالنِّكَاحِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُرْبَ الْخَمْرِ؛ وَأَعَاذَهُمْ عَنْهُ الْأَشْرَبَةَ اللَّذِيذَةَ الْمُتَوَوِّعَةَ، وَحَرَّمَ آيَاتِ اللَّهْوِ؛ وَعَوَّضَهُمْ عَنْهَا سَمَاعَ الْقُرْآنِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ مِنَ الْمَطْعُومَاتِ؛ وَعَوَّضَهُمْ عَنْهَا الطَّيِّبَاتِ، فَمَنْ تَلَمَّحَ هَذَا وَتَأَمَّلَهُ؛ هَانَ عَلَيْهِ تَرْكُ الْهَوَى الْمُرْدِي، وَاعْتَاَصَ عَنْهُ بِالنَّافِعِ الْمُجْدِي، وَعَرَفَ حِكْمَةَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ". اهـ بتصريف (روضة المحبين ص: ١٨)

وَكَلَّمَا زَادَتِ الرَّغْبَةُ فِي الْمَحْرَمِ، وَتَأَقَّتِ النَّفْسُ إِلَى فِعْلِهِ، وَكَثُرَتِ الدَّوَاعِي لِلْوُفُوعِ فِيهِ؛ عَظُمَ الْأَجْرُ فِي تَرْكِهِ، وَتَضَاعَفَتِ الْمَثُوبَةُ فِي مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى الْخَلَاصِ مِنْهُ. قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا يَقْدِرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ ثُمَّ يَدَعُهُ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا مَخَافَةُ اللَّهِ؛ إِلَّا أَبَدَلَهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ.

(تفسير الطبري: ١٤/ ٥٩٣)

ومن أمثلة العوض في الدنيا:

١- لَمَّا اعْتَرَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ وَأَبَاهُ، وَمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ وَهَبَ اللَّهُ لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَالدُّرِّيَّةَ الصَّالِحِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

٢- لَمَّا أَلْهَتِ الْخَيْلُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، فَأَتَلَفَهَا؛ عَوَّضَهُ اللَّهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ، وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ.

١- هناك رسالة للمؤلف في فضل: " رمضان- الاعتكاف- ليلة القدر " ضمن سلسلة: " الكتاب الجامع للفضائل ". فارجع إليها فضلاً لا أمراً.

- ٣- لَمَّا أَحْصَنْتَ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ فَرَجَّهَا؛ أَكْرَمَهَا اللَّهُ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَجَعَلَهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.
- ٤- لَمَّا امْتَنَعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مُوَاقَعَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ - مَعَ مَا كَانَتْ تُمَنِّيهِ بِهِ مِنَ الْحِطْوَةِ وَقُوَّةِ النُّفُودِ فِي قَصْرِ الْعَزِيزِ - وَصَبَرَ عَلَى السَّجْنِ، وَأَحَبَّهُ لِيُبْعِدَهُ عَنِ دَائِرَةِ الْفَسَادِ وَالْفِتْنَةِ؛ عَوَّضَهُ اللَّهُ أَنْ مَكَنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، يَتَّبِعُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ.
- ٥- لَمَّا اعْتَرَلَ أَهْلُ الْكَهْفِ قَوْمَهُمْ، وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ نَشَرَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَهَيَّأَ لَهُمْ أَسْبَابَ الْحِفْظِ وَالرَّاحَةِ، وَجَعَلَهُمْ سَبَبًا لِهِدَايَةِ الضَّالِّينَ.
- ٦- لَمَّا هَاجَرَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَائِلُ عَنِ أَوْطَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَحْبَابِهِمْ لِلَّهِ؛ عَوَّضَهُمُ اللَّهُ الرَّزْقَ الْوَاسِعَ فِي الدُّنْيَا، وَالْعِزَّ وَالتَّمَكِينَ.
- ٧- مَنْ تَرَكَ الذَّهَابَ لِلْعَرَّافِينَ وَالسَّحَرَةَ؛ رَزَقَهُ اللَّهُ الصَّبْرَ، وَصَدَقَ التَّوَكُّلَ، وَتَحَقَّقَ التَّوْحِيدَ.
- ٨- مَنْ تَرَكَ التَّكَالُبَ عَلَى الدُّنْيَا؛ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ.
- ٩- مَنْ تَرَكَ الْخَوْفَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَأَفْرَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ بِالْخَوْفِ؛ سَلِمَ مِنَ الْأَوْهَامِ، وَأَمَّنَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَصَارَتْ مَخَافَتُهُ أَمْنًا وَبِرْدًا وَسَلَامًا.
- ١٠- مَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ، وَلَزِمَ الصِّدْقَ؛ هُدِيَ إِلَى النِّبْرِ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَرَزِقَ لِسَانَ صِدْقٍ بَيْنَ النَّاسِ.
- ١١- مَنْ تَرَكَ الْغِشَّ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ؛ زَادَتْ ثِقَةُ النَّاسِ بِهِ، وَكَثُرَ إِقْبَالُهُمْ عَلَى سِلْعَتِهِ.
- ١٢- مَنْ تَرَكَ الرِّبَا، وَالْكَسْبَ الْخَبِيثَ؛ بَارَكَ اللَّهُ فِي رِزْقِهِ، وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ.
- ١٣- مَنْ تَرَكَ الْمَنَامَ وَدِفْأَهُ وَلَذَّتَهُ، وَقَامَ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى؛ عَوَّضَهُ اللَّهُ فَرَحًا، وَنَشَاطًا، وَأُنْسًا.
- ١٤- مَنْ تَرَكَ الْإِنْتِقَامَ وَالتَّشْفِيَّ - مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ - عَوَّضَهُ اللَّهُ انْشِرَاحًا فِي الصَّدْرِ، وَفَرَحًا فِي الْقَلْبِ.
- ١٥- مَنْ تَرَكَ صُحْبَةَ السُّوءِ - الَّتِي يَظُنُّ أَنَّ بِهَا مُنْتَهَى أُنْسِهِ، وَغَايَةَ سُرُورِهِ - عَوَّضَهُ اللَّهُ أَصْحَابًا أَبْرَارًا، يَجِدُ عِنْدَهُمُ الْمُتَعَةَ وَالْفَائِدَةَ، وَيَنَالُ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- ١٦- مَنْ تَرَكَ كَثْرَةَ الطَّعَامِ؛ سَلِمَ مِنَ الْبِطْنَةِ، وَسَائِرِ الْأَمْرَاضِ.
- ١٧- مَنْ تَرَكَ الْمُطَاطَلَةَ فِي الدِّينِ؛ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُ فِي سَدَادِ دِينِهِ.
- ١٨- مَنْ تَرَكَ الْوَقِيعَةَ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، وَالتَّعَرُّضَ لِعُيُوبِهِمْ؛ عَوَّضَ بِالسَّلَامَةِ مِنْ شَرِّهِمْ، وَحَفِظَتْ عَلَيْهِ حَسَنَاتِهِ، وَرَزِقَ التَّبَصُّرَ فِي نَفْسِهِ.
- ١٩- مَنْ اطَّرَحَ الدَّعَةَ وَالْكَسَلَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْجِدِّ وَالْعَمَلِ؛ عَلَتْ هِمَّتُهُ، وَبُورِكَ فِي وَقْتِهِ، فَنَالَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الزَّمَنِ الْيَسِيرِ.
- ٢٠- مَنْ تَرَكَ تَطَلُّبَ الشُّهُرَةِ وَحُبَّ الظُّهُورِ؛ رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ، وَنَشَرَ فَضْلَهُ، وَأَتَتْهُ الشُّهُرَةُ تَجْرُ أَدْيَالَهَا.

٢١- مَنْ تَرَكَ قَطِيعَةَ أَرْحَامِهِ، فَوَصَلَهُمْ، وَتَوَدَّدَ إِلَيْهِمْ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِمْ؛ بَسَطَ اللَّهُ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَنَسَأَ لَهُ فِي آثَرِهِ. (انظر روضة المحبين ص: ٤٤٥) (خطبة للدكتور محمود بن أحمد الدوسري، بعنوان: من ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه)

١٣- ولو اتقى الله السارق، وترك سرقة المال المعصوم لله: لآتاه الله مثله، أو خيراً منه، حلالاً.
قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٣، ٢)؛ فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه إذا اتقاه، بترك أخذ مالا يحل له، رزقه الله من حيث لا يحتسب ". اهـ

• وَالْعَوْضُ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمَتْرُوكِ، فَقَدْ يَكُونُ أَكْثَرَ، وَأَوْسَعَ، وَأَشْمَلَ، وَأَبْقَى.
قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ-رَحِمَهُ اللَّهُ-: " وقولهم من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه: حق، وَالْعَوْضُ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَأَجَلٌ مَا يُعَوَّضُ بِهِ: الْأَنْسُ بِاللَّهِ، وَمَحَبَّتُهُ، وَطُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ بِهِ، وَقُوَّتُهُ، وَنَشَاطُهُ، وَفَرَحُهُ، وَرِضَاؤُهُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى ". (الفوائد ص: ١٥٧)

قيل لبعض الزهاد وقد رئي في هيئة رثة: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وأنت تركت الدنيا فماذا عوضك الله! فقال: الرضى بما أنا فيه ". (صفوة الصفوة: ٢/٣٩٧).

• وَمَعَ مَا يَلْقَاهُ الْعَبْدُ مِنْ جَزَاءٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَهَنَّاكَ مَا يَنْتَظِرُهُ مِنَ الْجَزَاءِ الْأَوْفَى فِي الْآخِرَةِ.
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ (النجم: ٣٩-٤١).
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى: ١٧).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَوْضِعُ سَوَاطِئِ الْجَنَّةِ؛ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ". (رواه البخاري)
قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعَيْدِ-رَحِمَهُ اللَّهُ-: " فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الدُّنْيَا لَا يُسَاوِي دَرَّةً مِمَّا فِي الْجَنَّةِ ".
(فتح الباري لابن حجر: ٦/١٤).

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى الْجَزَاءِ الْآخِرِيِّ لِمَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ تَعَالَى:

١- ما رواه الترمذي عن معاذ بن أنس الجهني أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ تَرَكَ اللَّبَّاسَ تَوَاضِعًا لِلَّهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ: دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُغُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنْ أَى حُلِّ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا ". (السلسلة الصحيحة: ٧١٨).

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: حُلِّ الْإِيمَانِ: يَعْنِي مَا يُعْطَى أَهْلُ الْإِيمَانِ مِنْ حُلِّ الْجَنَّةِ.

٢- أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ تَرَكَ اللَّبَّاسَ تَوَاضِعًا لِلَّهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ؛ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُغُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ ". (حسنه الألباني في " صحيح ابن ماجه)

٣- مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ؛ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، ضَمِنَ لَهُ بَيْتٌ فِي رِیْضِ الْجَنَّةِ، وَسَلِمَ مِنْ شَرِّ اللَّجَاجِ وَالْحُصُومَةِ، وَحَافَظَ عَلَى صَفَاءِ قَلْبِهِ.

٤- من ترك الطعام وصام وأعطش نفسه لله سقاه الله يوم العطش الأكبر، وخُلوف فمه يوم القيامة أطيب عند الله من ريح المسك، ويدخله الله من باب الريان.

٥- من أنظر المعسرَ أو تجاوز عنه، تجاوز الله عن ذنوبه يوم القيامة وغفرها له.

٦- ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزَّقها أعداؤه شكرَ لهم ذلك بأن أعضهم منها طيرًا خضرًا أقرَّ أرواحهم فيها تَرَدُّ أنهار الجنة وتَأْكُل من ثمارها إلى يوم البعث؛ فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه.

٧- ولما بذل رُسُلُه أعراضهم فيه لأعدائهم، فنالوا منهم وسُبُوهم أعضهم من ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه؛ فأخلصهم بخالصة ذكرى الدار.

(انظر عدة الصابرين لابن القيم: ١ / ٢٨١)

٦- من ترك الحرام في الدنيا طاعة لله؛ عوضه الله بأفضل وألذ منها في الآخرة.

يقول ابن القيم -رحمه الله- **كما في كتابه حادي الأرواح** ص: ١٢٥: "وأكمل الناس لذة في الآخرة أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام، فكما أن مَنْ شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومَنْ لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومَنْ أكل في صحاف من الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة، كما قال النبي ﷺ: **إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**". فمَنْ استوفى طبيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حُرْمها هناك، فمَنْ ترك اللذة المحرمة لله استوفاه يوم القيامة أكمل ما تكون، ومَنْ استوفاه هنا حُرْمها هناك أو نقص كمالها، فلا يجعل الله لذة مَنْ وقع في معاصيه ومحارمه كلذة مَنْ ترك شهوته لله أبدًا، والله أعلم". اه بتصرف

وأكثر الناس استمتاعًا بالحوار العين هم أبعدهم عن الزنا في الدنيا.

وَعِنْدَ اسْتِقْرَاءِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ نَسْتَنْبِطُ مِنْهَا هَذَا التَّعْوِيضَ الْمُبَارَكَ.

(انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، للسعدي ص: ١٦٤)

بل بلغ من كرمه سبحانه وتعالى أنه يعطيك حسنات بلا مقابل:

• ثواب الشيب:

أخرج أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول

الله ﷺ: **" لا تنتفوا الشيبَ ما من مسلمٍ يشيبُ شيبَةً في الإسلامِ إلا كانت له نورًا يومَ القيامةِ إلا كتبَ**

اللهُ له بها حسنةٌ وحرطٌ عنه بها خطيئةٌ ". (صحيح أبي داود: ٤٢٠٢)

وأخرجه ابن حبان والطبراني في "مسند الشاميين" من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا**

تنتفوا الشيبَ؛ فإنه نورٌ يومَ القيامةِ، من شاب شيبَةً؛ كتب الله له بها حسنةٌ، وحرطٌ عنه بها خطيئةٌ،

ورفع له بها درجةٌ ". (صحيح الترغيب: ٢٠٩٦)

• ثواب المصافحة والسلام:

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من قال: " السلام عليكم، كُتِبَتْ له عشرُ حسناتٍ، ومن قال: " السلام عليكم ورحمةُ الله، كُتِبَتْ له عشرون حسنةً، ومن قال: " السلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته " كُتِبَتْ له ثلاثون حسنةً ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٧١١)

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يُلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا ". (صحيح الجامع: ٥٧٧٧) (الصحيحة: ٥٣٥)

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ فَصَافَحَهُ؛ تَنَاطَرَتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا يَتَنَاطَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ ". (الصحيحة: ٥٢٦)

• ثواب من قتل الوزغ (البرص):

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ قَتَلَ وَزْغًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَتْ لَهُ مِائَةٌ حَسَنَةٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ، وَفِي الثَّلَاثَةِ دُونَ ذَلِكَ. - وَفِي رِوَايَةٍ: فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ سَبْعِينَ حَسَنَةً ".

وسبب الأمر بقتلها ما جاء في صحيح البخاري من أنها كانت تنفخ النار على الخليل إبراهيم-عليه السلام- حين ألقاه قومه فيها، ولأنها من الحشرات المؤذيات، ولاستنقاذها ونفرة الطبع عنها كذلك.

• فضل وثواب الجماع:

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي نر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنًا شَوْكًا عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ ".

وأخرج أبو يعلى والطبراني في الأوسط والبخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: حدثني النبي ﷺ بحديث، فما فرحنا بشيء منذ عرفنا الإسلام أشد من فرحنا به، قال: " إن المؤمن ليؤجر عن إماطته الأذى عن الطريق، وفي هدايته السبيل، وفي تعبيره عن الأرتم، وفي منحة اللبن، حتى إنه ليؤجر في السلعة تكون مصرورة [في ثوبه] فيلمسها فتخطئها يده ".

- وزاد البخاري في روايته: " وإنه ليؤجر في إتيانه أهله، حتى إنه ليؤجر في السلعة تكون في طرف ثوبه فيلمسها فيفقد مكانها فيخفق بذلك فؤاده، فيردها الله عليه، ويكتب له أجرها ".

وجعل الله الشهادة في سبيله أعلى منازل في الجنة، ثم لم يقصرها على من مات في أرض المعركة، فجعلها لخلق من خلقه، ومنهم:

الموت بالطاعون - الموت بداء البطن - الموت من ذات الجنب - الموت بمرض السُّل - المائد في البحر والغريق - الموت دفاعاً عن المال - الموت في سبيل الدفاع عن الدين أو النفس أو الأهل - من تَرَدَّى من رعوس الجبال، أو تأكله السباع - المطعون وصاحب الهدم - المحروق، والمرأة الحامل أو النفساء. وكل ما سبق فعليه دليل من السنة المباركة الصحيحة^(١)، واقتصرت على العنوان فقط، لعدم الإطالة في الشرح، والمقصد هو بيان فضل وكرم الله تعالى.

ومن صور كرمه سبحانه وتعالى عند الموت وما بعده:

ما أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة ". (صحيح الجامع: ٦٤٧٩) (حسنه الألباني في الإرواء: ٦٨٦)

تنبيه: لا يُوقَّف للنطق بهذه الشهادة إلا من عاش لها، وعمل من أجلها، ففي هذه اللحظات الحرجة والتي فيها يعاني المحتضر من ألم النزع ومن شدة السكرات إلا أن الله يوفقه ويسدده للنطق بكلمة التوحيد وإعلان هذه الشهادة، والأمر كما قال تعالى: ﴿يُتَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

(إبراهيم: ٢٧)

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- عند قوله تعالى: ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: " هو قول: لا إله إلا الله ".

ثم قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧) قال ابن كثير -رحمه الله -: " لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه، أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه. كما في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والحاكم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " من مات على شيء بعثه الله عليه ". (صحيح الجامع: ٦٥٤٣) (الصحيحة: ٢٨٣)

أما التكريم بعد الموت فيظهر في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " ما من رجلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " ما من ميتٍ تُصَلِّي عليه أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً، كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ^(٢)؛ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ^(٣) ".

١ - هناك رسالة للمؤلف فيها ذكر الأدلة على كل ما سبق، وهذه الرسالة بعنوان: فضل الجهاد، ضمن سلسلة الكتاب الجامع للفضائل، وكذلك رسالة: فضل الأمة المحمدية، فترجع إليهما فضلاً لا أمراً.
٢ - معنى يَشْفَعُونَ له: أي يخلصون له الدعاء ويسألون له المغفرة.
٣ - معنى شَفَعُوا فِيهِ: أي قبلت شفاعتهم.

وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مائة من المسلمين، غُفِرَ لَهُ". (صحيح الجامع: ٦٣٥٦)

ورواه الطبراني من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من رجل يصلي عليه مائة إلا غفر الله له". (صحيح الجامع: ٥٧١٦)

وحتى يكثر العدد على الميت فإنه لكرمه أعطى أجر عظيم وفضل كبير لمن صلى على الجنازة، فيكتب له قيراط في الجنة، والقيراط: مثل جبل أحد، أو مثل الجبل العظيم.

ودليل ذلك ما مر بنا في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَأَنَّ لَهُ قِيرَاطَانِ. قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: "مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ".

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ (١)".

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَبَعَ جَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا، وَيُفْرَغَ مِنْهَا، فَلَهُ قِيرَاطَانِ، وَمَنْ تَبِعَهَا حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَالَّذِي نَفَسَ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ لَهُوَ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ أُحُدٍ (٢)". (صحيح الجامع: ٦١٣٥)

ومن كرمه أن هناك بعض الأمور تنفع الميت بعد موته؟

هناك بعض الأمور يصل ثوابها إلى الميت بعد موته منها أعمال تكون من كسبه، ومنها أعمال تكون من كسب غيره، إلا أن الشرع يدل على أنها تصل إليه.

أولاً: ما ينفع الميت من كسب غيره:

- ١- الدعاء له بعد خروج الروح منه:
- ٢- الصلاة عليه (صلاة الجنازة):
- ٣- الوقوف عند القبر بعد دفن الميت والدعاء والاستغفار له:
- ٤- الدعاء للميت عند زيارته في المقابر:
- ٥- قضاء الدين عنه:
- ٦- قضاء ما عليه من نذر. (نذر مالي أو صيام):
- ٧- الصدقة:
- ٨- العتق والصدقة والحج:
- ٩- العمرة:

١- وحُصُولُ الْقِيرَاطَيْنِ هَاهُنَا مُقَيَّدٌ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ؛ الْأَوَّلُ: اتِّبَاعُ الْجَنَازَةِ، وَالثَّانِي: الصَّلَاةُ عَلَيْهِ، وَالثَّلَاثُ: حُضُورُ الدَّفْنِ، أَمَّا مَنْ صَلَّى عَلَيْهَا فَقَطْ وَرَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَقَدْ حَصَلَ مِنَ الْأَجْرِ قِيرَاطًا وَاحِدًا
٢- هَذَا فَضْلٌ كَبِيرٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ لِمَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ وَدَفَنَهَا، وَهَذِهِ الْقَرَارِيطُ تَكُونُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ، وَجَبَلِ أُحُدٍ: هُوَ الْجَبَلُ الْمَعْرُوفُ عَلَى مَشَارِفِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ عَلَى بُعْدٍ ٤ أَوْ ٥ كَم، مِنَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَطَوْلُهُ ٧ كَم، وَعَرْضُهُ بَيْنَ ٢ أَوْ ٣ كَم، وَارْتِفَاعُهُ يَصِلُ إِلَى قُرَابَةِ ٣٥٠ مِتْرًا.

١٠- ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة.

فإن لوالديه مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيء، لأن الولد من سعيهما وكسبهما، والله ﷻ يقول:

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)، والنبي ﷺ قال: " إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده

من كسبه ". (أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والدارمي وابن ماجه)

١١- رد المظالم إلى أهلها نيابة عمّن مات، وطلب عفو الناس عنه، وطلب الدعاء منهم للميت، فكل

هذا يصل إليه وينفعه بمشيئة الله تعالى.

١٢- ثناء الناس على الميت: فإن أطلق الله السنة الخلق فيه بالخير والثناء والحسن والذكر الجميل،

غلب على الظن أنه من أهل الخير. وذلك للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن

مالك ﷺ قال: **مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَجَبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا،**

فَقَالَ: وَجَبَتْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا

أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ .

أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من

مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَهْلُ آيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنِيِّينَ؛ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْرًا؛ إِلَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ، وَعَفَوْتُ عَمَّا لَا تَعْلَمُونَ.

أخرج البخاري من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا

مَرَضٌ وَهُمْ يَمُوتُونَ مَوْتًا ذَرِيعًا، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ ﷺ، فَمَرَّتْ جَنَازَةٌ، فَأَثْنَيْتُ خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ

مَرَّ بِأُخْرَى، فَأَثْنَيْتُ خَيْرًا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأَثْنَيْتُ شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، قُلْنَا:

وَالثَّلَاثَةَ، قَالَ: وَالثَّلَاثَةَ، قُلْتُ: وَاثْنَانِ، قَالَ: وَاثْنَانِ، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ.

ما ينفع الميت من كسبه:

وهو ما خلفه من بعده من آثار صالحة وصدقات جارية؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾^(١) ومنها:

١- الغرس والزرع: ٢- إذا سنَّ الميت سنة حسنة أو دعا إلى هدى:

٣- الموت في سبيل الله مرابطاً: ٤- العلم النافع الذي نشره وأذاعه، وعلى رأسه العلم الشرعي:

٥- الصدقة الجارية: ٦- الولد الصالح:

وكل ما سبق عليه دليل من الكتاب أو السنة المباركة^(٢).

١- (يس: ١٢).

٢- هناك رسالة للمؤلف ذكر فيها الأدلة مع شيء من التفصيل وهي ضمن سلسلة: "الجامع لأحكام الجنائز".

ومن صور كرمه سبحانه وتعالى يوم القيامة:

أن العبد إذا تاب توبة نصوحاً فإن الله يبدل سيئاته حسنات - كما مر بنا في الحديث عن التوبة - .
قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَكَانُوا قَاتِلِينَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزُنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٦٨-٧٠)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي نر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنِّي لِأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اغْرَضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ دُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ دُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ دُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا. فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ.

• ومن كرم الله أنه يعطي أدنى أهل الجنة منزلاً عشر أمثال ملك من ملوك الدنيا:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنَ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ (١)، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (السجدة: ١٧) . "

أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنِّي لِأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبُورًا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي، أَوْ أَتَضْحَكُ بِي، وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ. قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً . "

١ - " لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، أَي: مُنْضَمًّا لِمَا رَضِيْتُ بِهِ زِيَادَةً عَلَيْهِ، مُبَالِغَةً فِي التَّفْضِيلِ وَالكَرَمِ، فَيَقُولُ الْعَبْدُ فِي الْخَامِسَةِ: " رَضِيْتُ رَبِّ " بِهَذَا الْعَطَاءِ الْجَزَلِ، فَيَزِيدُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَطَاءً، فَيَقُولُ لَهُ: " هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ "، ثُمَّ يَزِيدُهُ اللَّهُ تَفْضُلًا فَيَقُولُ لَهُ: " وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ " وَمَا تَمَنَّتَهُ، وَلَكَ مَا لَدَّتْ عَيْنُكَ وَمَا أَحْبَبَهَا، وَهَذَا شَامِلٌ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: " رَضِيْتُ رَبِّ " . "

لبستُ ثوبَ الرِّجَا والنَّاسُ قد رَقَدُوا
وقلتُ: يا أُمِّي في كُلِّ نَائِبَةٍ
أشكو إليك أُمُورًا أَنْتَ تَعَلَّمُهَا
وقد مَدَدتُ يَدِي بِالذَّلِّ مَبْتَهَلًا
فلا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبَّ خَائِبَةً
وبتُّ أشكو إلى مَولايَ ما أَجْدُ
ومَنْ عليه لكَشْفِ الضَّرِّ أَعْتَمَدُ
ما لي على جِملِها صَبْرٌ ولا جَلْدُ
إِلَيْكَ يا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ
فبِحِرِّ جُودِكَ يَروي كُلُّ مَنْ يَرِدُ

أخي الحبيب هل أنت صادق في دعوى المحبة؟

أيها الحبيب... هذا حب الله لك، فكيف حبك له؟! قد تسارع في الإجابة بلا وعي، وتقول إنك تحبه حباً شديداً، ولا شك أننا جميعاً نحب الله، وإلا لم نكن مسلمين أصلاً، ولكن السؤال هو: هل تحب ربك بما يكفي ليخرجك عن دائرة التقصير في محبة المنعم القدير؟! إذا أردت أن تعرف الإجابة على هذا السؤال؛ فدونك وهذه الآية، التي نصبها الله امتحاناً على طريق محبته، يبين صحة أو زيف ما معك من بضاعة المحبة: قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجْرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤).

أرأيت أيها المؤمن، تأمل في هذه الأشياء الثمانية، الآباء، الأبناء، الإخوان، الأزواج، الأسرة أو العائلة أو القبيلة، الأموال، التجارة أو العمل، المساكن والبيوت. كل هذه المحبوبات الثمانية، فالأصل أنها مباحة، بل الإنسان مجبول على محبتها، بل ولا بد له من تحصيلها؛ ليتمكن من مزاولته حياته الطبيعية على هذه الأرض، وعمارته كما أمر الله، ولكن السؤال هو: من هو المحبوب الأول في قائمة أولوياتك؟ هل هو الله؟ فتصح بذلك محبتك لله، أم هو أحد هذه الثمانية، فتصير بذلك من الذين اتخذوا مع الله أنداداً، وتصبح كاذباً في دعوى محبتك لربك.

وهذا ما يصفه لك الإمام ابن القيم رحمه الله فيقول: "فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله؛ فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإن قاله بلسانه؛ فهو كاذب منه، وإخبار بخلاف ما هو عليه". اهـ (مدارج السالكين لابن القيم ص: ٦١).

ومعنى ذلك: إذا دعاك صديقك إلى معصية الله فأجبتة؛ فأنت كاذب في دعوى المحبة.

إذا تعارض عملك مع طاعة الله، فقدمت عملك وعصيت ربك؛ فأنت كاذب في دعوى المحبة.

إذا قصرت في طاعة الله أو خدمة دينه أو نصرته خوفاً من الناس؛ فأنت كاذب في دعوى المحبة.

إذا أمرك أحد الوالدين أو كلاهما بمعصية الله وأطعته؛ فأنت كاذب في دعوى المحبة. ومعنى ذلك أيضا: إذا طردت صديق السوء من حياتك لأنه يعيقك عن ريك؛ فأنت محب صادق لله. إذا رهبك الناس من طريق الطاعة والالتحاق بركب الصالحين؛ فضربت بكلامهم عرض الحائط، وعجلت إلى ريك ليرضى عنك؛ فأنت محب صادق لله. إذا تركت عملاً حراماً يُدر عليك الألوفاً أو الملايين، لقاء ما عند الله؛ فأنت محب صادق لله.

قوافل المحبين

هل تعرف من هم؟ إنهم أناس تمكن حب ربه من قلوبهم، فما عاد فيها مكان لغيره، إنهم سادات المؤمنين الذين سبقوا والله سبقاً بعيداً، لما باعوا أنفسهم لخالقها، ولم تساكن قلوبهم محبة لشهوة أو لذة. باعوا محبة الدنيا، واشتروا محبة واهب العطايا، عكفت قلوبهم على محبوبهم الأعلى؛ فباعوا من أجله كل محبوب ومرغوب، رفع لهم علم: **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى، فَأَجَابُوا بِلِوَاءٍ: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالًا: فَحَصَدُوا جِزَاءَ: رِجْحِ الْبَيْعِ، رِجْحِ الْبَيْعِ. فَمِنْهُمْ:**

سيد المحبين لرب العالمين.

أتدري من هو؟ إنه محمد عبد الله ورسوله، وحببيه وخليئه، كانت حياته كلها حباً لربه الله، ما أعظمها من كلمات تخرج من فم الحبيب، يناجي بها ربه ومولاه، فيقول: **... أسألك حبك، وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك... "** (صحيح سنن الترمذي: ٣٢٣٥).

وها هو يقوم من الليل، حتى تتفطر قدماه الشريفتان، ثم يُسأل ذلك: يا رسول الله، تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: **" أفلا أكون عبداً شكوراً "** (رواه البخاري).

وتأمل في هذا الموقف الجليل، الذي يفيض بالحب من الخليل لخليئه، ترويه الصديقة بنت الصديق، أمنا عائشة -رضي الله عنها- يقول عطاء: **" دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة -رضي الله عنها- فقال عبيد بن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي، فقال: " يا عائشة، ذريني أتعب لربي"، قالت: قلت والله إنني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام، فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بل الأرض. وجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: " أفلا أكون عبداً شكوراً؟! لقد نزلت علي الليلة آيات، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠)**

(رواه ابن حبان في صحيحه) (السلسلة الصحيحة: ٦٨)

وتبلغ ذروة مظاهر حب النبي ﷺ لربه في ساعة رحيله، بأبي هو وأمي، إذ أتاه ملك الموت يخيره بين الخلود في الدنيا والجنة، وبين أن يلحق بربه في الرفيق الأعلى، فعلا صوت الخليل وكله شوق لخليله: **" بل الرفيق الأعلى "** . (رواه البخاري)

• عبد الله بن جحش:

عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد: ألا تأتي ندعو الله تعالى، فخلوا في ناحية، فدعا سعد الله فقال: يا رب، إذا لقينا العدو غداً، فلقتي رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده^(١)، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأخذ سلبه، فأمن عبد الله بن جحش. ثم قال: اللهم ارزقني غداً رجلاً، شديداً بأسه، شديداً حرده، فأقاتله ويقاتلني، ثم يجدع^(٢) أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدا قلت لي: يا عبد الله، فيم جدع أنفك وأذناك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت، قال سعد: كانت دعوته والله خيراً من دعوتي، فلقد رأيتُه آخر النهار وإن أنفه وأذنه المعلقة في خيط ". (سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/٣٢٤).

- وحين اشتد بمعاذ بن جبل ﷺ النزع - نزع الموت - فنزع نزعاً لم ينزعه أحد، وكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال: رب اخنقني خنقتك، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك. (حلية الأولياء لأبي نعيم)

• عندما يخلو المحب بحبيبه.

ولأجل أنهم يحبونه؛ صارت أشهى الأوقات إلى قلوبهم عندما ينتزل الرب إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، يبيتون لربهم سجداً وقياماً، يبادلون ربه حباً بحب فاستنشق - يا أخي - بعضاً من عبير حبهم، حتى تلحق بركبهم.

أخذ الفضيل بن عياض - رحمه الله - بيد الحسين بن زياد فقال له: يا حسين ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول الرب: كذب من ادعى محبتي، فإذا جنَّه الليل نام عني، أليس كل حبيب يخلو بحبيبه؟! ها أنا ذا مطلع على أحبائي إذا جنَّهم الليل، غداً أقر عيون أحبائي في جناتي ".
(سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١٤/٤٢٤)

قال سعيد بن المسيب - رحمه الله -: إن الرجل ليصلي بالليل، فيجعل الله في وجهه نوراً، يحبه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره قط، فيقول: إني لأحب هذا الرجل.

وقيل للحسن البصري - رحمه الله -: ما بال المتجهدين بالليل من أحسن الناس وجوهاً؟ فقال: لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم من نوره ". (مختصر منهاج القاصدين ابن قدامة، ص: ٦١).

١- حرده: غضبه.

٢- يجدع: يقطع.

وكان العبد الصالح عبد العزيز بن أبي رواد-رحمه الله- يفرش له فراشه لينام عليه بالليل، فكان يضع يده على الفراش، فيتحسسها، ثم يقول: ما أليّنك!! ولكن فراش الجنة أليّن منك، ثم يقوم إلى صلاته ".
(رهبان الليل للعفاني: ٤٠٩/١)

وقال جعفر بن زيد رحمه الله: خرجنا غزاة إلى (كابول) وفي الجيش صلة بن أشيم العدوي -رحمه الله- قال: فترك الناس بعد العتمة، أي بعد العشاء، ثم اضطجع، فالتمس غفلة الناس، حتى إذا نام الجيش كله؛ وثب صلة فدخل غيضة^(١)، فدخلت في أثره، فتوضأ ثم قام يصلي، فافتتح الصلاة. وبينما هو يصلي إذ جاء أسد عظيم، فدنا منه وهو يصلي؛ ففزعت من زئير الأسد؛ فصعدت إلى شجرة قريبة، أما صلة، فوالله ما التفت إلى الأسد، ولا خاف من زئيره، ولا اكرثت به، ثم سجد صلة، فاقترب الأسد منه، فقلت: الآن يفترسه، فأخذ الأسد يدور حوله، ولم يصبه بأي سوء. ثم لما فرغ صلة من صلاته وسلم، التفت إلى الأسد، وقال: أيها السبع، اطلب رزقك في مكان آخر، فولى الأسد، وله زئير تتصدع منه الجبال، فما زال صلة يصلي، حتى إذا قرب الفجر، جلس فحمد محامد لم أسمع بمثلها، إلا ما شاء الله، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجبرني من النار، ثم رجع رحمه الله إلى فراشه^(٢)، فأصبح وكأنه بات على الحشايا^(٣)، ورجعت إلى فراشي، فأصبحت وبي من الكسل والخمول شيء الله به عليم ". (حلية الأولياء، أبو نعيم: ٢/ ٣١٦).

من أقوال المحبين:

- **يقول أحدهم:** " ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه ".
- **وقال آخر:** " عجبًا للخليفة كيف استتارت قلوبها بغير سواك ".
- سهر العيون لغير وجهك باطل وبكأوهن لغير فقدك ضائع
إني إليك مدى الأنفاس محتاج لو كان في مفرقي الإكليل والتاج
- **قال حبيب أبو محمد الفارسي-رحمه الله-:** " لا قرّة عين لمن لم تقر عينه بك، ولا فرح في الدنيا لمن لا يفرح بك، وعزتك إنك لتعلم أنني أحبك ".
- **وقال خليل بن عبد الله العصري-رحمه الله-:** " يا إخوتاه هل منكم من أحد لا يحب أن يلقي حبيبه؟ ألا فأحبوا ربكم وسيروا إليه سيرًا كريمًا ".
- من فاته الله فلو حصلت له الجنة بحذافيرها لكان مغبونًا، فكيف إذا لم يحصل له إلا نذر حقير يسير من دار كلها لا تساوي جناح بعوضة.

١- وهي الشجر الكثيف الملتف على بعضه.

٢- ثم رجع رحمه الله إلى فراشه: أي: ليوهم الجيش أنه ظل طوال الليل نائمًا.

٣- وهي الفرش الوثيرة الناعمة، والمراد هنا أنه كان في غاية النشاط والحيوية.

- وقال فتح الموصلي-رحمه الله-: المحب لا يجد مع حب الله للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين.

- وقال أحدهم: " احذروه فإنه غيور، لا يحب أن يرى في قلب عبد غيره ".

- وقال آخر: " من أطال النظر إلى الخالق، شغل عن المخلوق ".

- وكان أحد العباد يقول في جوف الليل: قرّة عيني، ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم، ثم نادى: طوبى لقلوب ملأتها خشيتك واستولت عليها محبتك فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك، والاجتهاد في خدمتك. ثم بكى وقال: يا إخوتاه ابكوا على خوف فوت الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة ".

- وكان أحد العباد يقول: " يا من هو عند ألسن الناطقين، يا من هو عند قلوب الذاكرين، خسر من أتعب لغيرك بدنه، وألجأ إلى سواك هممه، يا من لا تراه العيون ولا يصفه الواصفون، يا عالما بمثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرف عليه النهار، ولا توارى منه سماءً سماءً، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك، ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ".

- قيل لعامر بن عبد قيس-رحمه الله-: أما تسهو في صلاتك؟ قال: أو حديث أحب إليّ من القرآن حتى اشتغل به؟. هيهات مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس.

- كان مسلم بن دينار-رحمه الله-: لا يلتفت في صلاته، ولقد انهدمت ناحية من المسجد فزع لها أهل السوق فما التفت، وكان إذا دخل منزله سكت أهل بيته، فإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا، علماً منهم أن قلبه مشغول، وكان يقول في مناجاته: إلهي متى ألقاك وأنت عنى راض، إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم جعلت اشتغالي فيك يا منتهى شغلي.

- كان الفضيل-رحمه الله- يقول: أفرح بالليل لمناجاة ربي، وأكره النهار للقاء الخلق.

- وكان يحيى بن معاذ-رحمه الله- يقول: " يا من رباني في الطريق بنعمه، وأشار لي في الورود إلى كرمه، معرفتي بك دليلي عليك، وحبّي لك شفيعي إليك ".

- وكان-رحمه الله- يقول: " أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إليّ ساعة يكون فيها لقاءك ".

وبعد...

فهذا آخر ما تيسر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله - تعالى - أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها مني بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه. هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثمَّ خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخلا جَلَّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيباً

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك